

أسنى المطالب

في نجاة أبي طالب

تأليف العالم العلامة والحبر الفهامة

فرع الشجرة الزكية مولانا السيد

أحمد بن زيني دحلان

شيخ العلماء الأعلام ببلد الله الحرام

رحمه الله تعالى



تحقيق وتعليق

حسن بن علي السقاف

القرشي الهاشمي الحسيني الباعلوي

عفا الله تعالى عنه

دار الإمام النووي

عمّان - الأردن

أسنى المطالب

في نجاة أبي طالب

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

عمـــان - الأردن

ص. ب. : ٩٢٥٣٩٣ - العبدلي

E-mail : hasan_alsaqqaf@maktoob.com

أسنى المطالب
في نجاة أبي طالب

تأليف العالم العلامة والحبر الفهامة

فرع الشجرة الزكية مولانا السيد

أحمد بن زيني دحلان

شيخ العلماء الأعلام ببلد الله الحرام

رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

حسن بن علي السقاف

القرشي الهاشمي الحسيني الباعلوي

عفا الله تعالى عنه

دار الإمام النووي

عمان ـ الأردن



بسم الله الرحمن الرحيم

والله لـــن يصلـــوا إليـك بجمـعهم حتـى أوسَّـــد فـي التـراب دفيـنـــا

فاصـــدع بأمرك ما عليك غضـاضـة وابشر بـذاك وقـرَّ منـك عيـــونـا

ودعوتني وعلمـــت أنك ناصـحـــي ولقــد دعـــوت وكنت ثـمَّ أميـنا

ولقـد علمـــت بـأن ديـــن محـمـــدٍ مـن خيـــر أديـــان البـريـة دينا

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد لكتاب أسنى المطالب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن أصحابه البررة المتقين .

أما بعد :

فالسيد أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يحوط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحميه ويدافع عنه وحبس معه في الشعب[1] عند فرض قريش الحصار عليه صلى الله عليه وآله وسلم ونقلت أشعار عن السيد أبي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن دينه هو دين الحق إلى غير ذلك ، وسمي عام وفاته هو والسيدة خديجة عام الحزن فهل يعقل أن هذا الشخص لم يؤمن وأنه مات على الكفر بعد هذا كله ؟!

فلنعقد ههنا فصولاً لنصل إلى حقيقة الأمر في إيمان أبي طالب فنقول :

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٩) ، وتاريخ ابن كثير « البداية والنهاية » (٣/ ٨٤) .

فصل

سرد ما ورد من أنه كان ينصر الدين ويدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمدح النبي والإسلام

ويمكننا أن نلخص هذا الأمر بالنقاط التالية :

١ - لقد اعترف الجميع حتى القائلون بكفر أبي طالب رضي الله عنه على أنه كان ينصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمنعه ، ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر في « الفتح »[٢] (٧/ ١٩٤) : « واستمر على نصره بعد أن بعث إلى أن مات أبو طالب ... وكان يذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرد عنه كل من يؤذيه »[٣] .

وثبت عن ابن مسعود أنه قال : « فأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب »[٤] .

---

(٢) قبل شرح الحديث رقم (٣٨٨٣) في أول باب قصة أبي طالب في كتاب مناقب الأنصار .

(٣) وانظر أيضاً « البداية والنهاية » لابن كثير (٣/ ١٣٣) .

(٤) حسن . رواه ابن حبان في الصحيح (١٥/ ٥٥٨برقم٧٠٨٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٩٦) و (٧/ ٣٣٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٩) وأحمد في المسند (١/ ٤٠٤) وابن ماجه (١٥٠) والحاكم (٣/ ٢٨٤) والبزار (٥/ ٢٣٣) وغيرهم وصححه متناقض عصرنا الألباني في « صحيح ابن ماجه » (١/ ٣٠برقم١٢٢) .

وروى البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) عن العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أغنيت عن عمك فإنه كان **يحوطك ويغضب لك** ... »[٥] .

وفي روايةٍ لمسلم (٢٠٩) : «كان **يحوطك وينصرك**» .

٢- وقال أبو طالب مادحاً النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل[٦]

يلوذ به الهُلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل

---

(٥) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) مع أن في هذه الرواية ما لا نأخذ به لأمور أخرى لكن الأمر الذي استشهدنا واستدللنا به ثابت مقطوع به .

(٦) ثبت في البخاري (١٠٠٩) أن هذا البيت لأبي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٢/ ٤٩٦) : [وهذا البيت من أبياتٍ في قصيدة لأبي طالب ذكرها بن إسحاق في السيرة بطولها ، وهي أكثر من ثمانين بيتاً ، قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام ، أولها : ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرا والوسائل ، وقد جاهرونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل ، ويقول فيها : أعبد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركوا في أمركم كل واغل ، فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم تكونوا كما كانت أحاديث وائل ، ويقول فيها : أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل ، وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق لبر في حراء ونازل ، وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله أن الله ليس بغافل ، ويقول فيها : **كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن حوله ونناضل** ، ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل ، ويقول فيها : وما ترك قوم لا أبالك سيداً =

قال ابن كثير[7] : إن هذه القصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا مَنْ نُسِبَت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى .

وأخرج البيهقي[8] عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتاً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رَدَّ يديه حتى ألقت السماء بأبراقها ، ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من كثرة المطر خوف الغرق ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

= يحوط الذمار بين بكر بن وائل ، وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل ، يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل .

قال السهيلي : فإن قيل كيف قال أبو طالب (يستسقى الغمام بوجهه) ولم يره قط استسقى إنما كان ذلك منه بعد الهجرة ، وأجاب بما حاصله : أن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه واله وسلم معه غلام . انتهى

ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وإن لم يشاهد وقوعه] انتهى كلام ابن حجر من « الفتح » .

(٧) في « البداية والنهاية » (٣/ ٥٧) .

(٨) **هذا صحيح ثابت** فقد روى البيت (وأبيض يستسقى الغمام) البخاري (١٠٠٩) ولفظ (اللهم حوالينا ولا علينا) البخاري ومسلم كما سيأتي ، وهذا السياق رواه الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ١٨٤) وذكره الحافظ في الفتح (٢/ ٢٩٥) وعزاه للبيهقي في « دلائل النبوة » وقال =

= هناك : « وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة ، وقد ذكره ابن هشام في زوائده في السيرة تعليقاً عمن يثق به » .

« اللهم حوالينا ولا علينا »[٩] .

وضحك صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

« **لله در أبي طالب لو كان حياً لَقَرَّتْ عيناه ، مَنْ ينشدنا قوله ؟** » فقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه : كأنك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثِمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أجل »[١٠] .

٣- ومما يدل على إيمانه من شعره : ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح (٧/ ١٩٤) : [وأخباره في حياطته والذب عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معروفة مشهورة ، ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

وقوله :

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نقاتل حوله ونناضل] .

انتهى من « فتح الباري » .

---

(٩) هذا النص « اللهم حوالينا ولا علينا » رواه البخاري(٩٣٣و١٠١٣و١٠١٤و١٠١٥و١٠٢٠و١٠٢١ و١٠٣٣و٣٥٨٢و٦٠٩٣و٦٣٤٢) في عشرة مواضع ، ومسلم (٨٩٧) وغيرهما .

(١٠) رواه ابن عدي في الكامل (٣/ ٤٠٨-٤٠٩) .

ومن المشهور عنه أيضاً :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

وهذه الأبيات ذكرها القرطبي في « تفسيره » (٦/ ٤٠٦)[١١] .

٤- عام الحزن ، وقد حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موت عمه أبي طالب وزوجته خديجة في السنة العاشرة للبعثة وسمي ذلك العام عام الحزن[١٢] .

---

(١١) وأورد الحافظ ابن حجر البيتين الأخيرين في « الإصابة » (٧/ ٢٣٦) وعبر عنهما بأنه مما نسب إلى أبي طالب وهذا منه خطأ في التعبير لأنه كان في مقام الرد على أحد الشيعة ، ولما ذكر البيت الأول في « الفتح » قال : « ومما اشتهر من شعره » !! وهذه عادته في التعبير حتى عن الأشياء الثابتة وهي عادة غير محمودة ! ففي « فتح الباري » (١٣/ ٤١٠) يقول عند إثبات مسألة (حوادث لا أول لها) التي يقول بها ابن تيمية : « وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية » مع أنه يثبتها .

(١٢) انظر « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » (١/ ١٢) للحافظ السخاوي ، وكتاب « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا » (١/ ٦٧) للناصري ، وكتاب « لسان العرب » (١٣/ ١١٢) لابن منظور .

وقال الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٦٢١) : « وتواترت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مات عمه أبو طالب لقي هو والمسلمون أذى من المشركين بعد موته .. » .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً تهجموا على أذيته قال : يا عم ما أسرع ما وَجَدْتُ فَقْدَكَ(١٣) .

وبعد هذا كله نقول : رجل ربَّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخاف عليه ونصره وحماه من أعدائه وله أشعار في صحة دينه وفي مدحه وحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لموته محال أن يكون إلا مسلماً مؤمناً .

ولماذا لا يكون حاله كمؤمن آل فرعون الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد

---

(١٣) حسن ، رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٤١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥) : « رواه الطبراني في الأوسط عن شخص لقي ابن سعيد الرازي قال الدارقطني : ليس بذاك ، وعيسى بن عبد السلام لم أعرفه وبقية رجاله ثقات » .
ومن الأحاديث الواردة في ذلك عن السيدة عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما زالت قريش كافة (وفي لفظ كاعة) عني حتى مات أبو طالب » رواه الطبراني في الأوسط (١/ ١٨٨) ، والديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٩٨) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٥) : « وفيه أبو بلال الأشعري وهو ضعيف » قلت : ضعفه الدارقطني وأورده ابن حبان في « الثقات » (٩/ ١٩٩) ومعناه صحيح مطابق للواقع المنقول في كتب التواريخ والسير فالحديث حسن عندنا .

جاءكم بالبينات من ربكم وإن يكن كاذباً فعليه كذبه وإن يكن صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ غافر: ٢٨ .

فإن قالوا : للأحاديث الصحيحة الواردة في أنه مات على الكفر ..

قلنا : لم تصح هذه الأحاديث عندنا لما سنبينه إن شاء الله تعالى وهي من صنع الأمويين وأذنابهم الذين كانوا يشتمون سيدنا علياً وآل البيت ويحتقرونهم ، والذين جعلوا أبويه صلى الله عليه وآله وسلم في النار .

فصل

ذكر الآيات التي زعموا أنها نزلت في أبي طالب

روى البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَـمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ :

« أَيْ عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ » فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُاللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ : عَلَى مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لاسْتَغْفِـرَنَّ لَكَ مَـا لَـمْ أُنْهَ عَنْهُ فَنَزَلَتْ ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ وَنَزَلَتْ ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ (١٤) .

---

(١٤) راوي هذا الحديث عن المسيب هو الزهري ! وهو أموي المشرب ! وإليك بعض ذلك :

ذكر الذهبي في « سير النبلاء » (٥/ ٣٣١) : أن الزهري قال : « وتوفي عبدالملك فلزمت ابنه الوليد ، ثم سليمان ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد ، فاستقضى يزيد بن عبد الملك على قضائه الزهري .... ثم لزمت هشام بن عبد الملك ، وصير هشام الزهري مع أولاده يعلمهم ويحج معهم » .

وقال الذهبي هناك ص (٣٣٧) أيضاً : « كان رحمه الله محتشماً جليلاً بزي الأجناد له صورة كبيرة في دولة بني أمية » . راجع كتابنا « تناقضات الألباني » (٣/ ٣٣٦) فإننا هناك توسعنا في الكلام على الزهري .

=

أقول : هذا حديث شاذ مردود غير مقبول ولا يجوز التعويل عليه ! وبيان ذلك :

اعترف الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٧/ ١٩٥) **أن في نزولها في أبي طالب** نظر ، وهذا طعن صريح في حديث ابن المسيب عن أبيه في رواية قصة موت أبي طالب التي في الصحيحين .

وذكر في الفتح (٨/ ٥٠٨) أنها نزلت في عمه وقال : « هذا فيه إشكال ، لأن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم أتى قبر أمه[١٥] لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية ، والأصل عدم تكرر النزول » .

أقول : وقوله هنا (ثبت) أنها نزلت لما أتى قبر أمه . باطل مردود لا سيما وهي من أهل الفترة[١٦] .

= ومما يجب التنبه إليه ههنا أنه هو راوي قصة الانتحار التي في البخاري وهي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما فتر الوحي عنه أراد أن يتردى من شواهق الجبال ! قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ٣٥٩/ ٦٩٨٢) : « وهو من بلاغات الزهري **وليس موصولاً** » .

(١٥) وقد بينت عدم صحة الحديث الذي رواه مسلم (٩٧٦) من أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤذن له في الاستغفار لأمه صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك في « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » ص (٨٤-٨٦) .

(١٦) وقد بينت ذلك مفصلاً في « صحيح شرح الطحاوية » ص (٨٢-٩٥) .

وجاء في مسند أحمد (١/ ٩٩و١٣٠) كما أقر بذلك الحافظ في « الفتح » (٨/ ٥٠٨) عن سيدنا علي عليه السلام قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله ﴿ **ما كان للنبي** .. ﴾ الآية . وهذا حديث صحيح الإسناد[١٧] .

وهذه الروايات توجب الاضطراب في سبب نزول الآية وعدم صحة الاستدلال بها على أنها نزلت في أبي طالب أو في والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وانظر كيف ينزلون الآيات وينقلون الأحاديث في الطعن في أمه صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه وعمه وهناك أحاديث ذكرناها في موضوع (عذاب القبر)[١٨] يُذكر فيها أن القبر ضم بنتيه صلى الله عليه وآله وسلم وابنه القاسم عليهم سلام الله تعالى وهذا يدلك إلى أن أيدي النواصب الأثيمة التي كانت صاحبة النفوذ والدولة في العهد الأموي والعباسي أدخلت وصنعت تلك الروايات وبثتها ليعتقدها الناس ، ونحن والحمد لله تعالى لسنا ممن ينطلي عليهم ذلك .

---

(١٧) وعبد الله بن الخليل الراوي عن سيدنا علي عليه السلام وثقه الذهبي في « الكاشف » ، وابن حبان في « ثقاته » (٥/ ٢٩) وقال : « روى عنه أبو إسحاق السبيعي وأهل الكوفة » ، وقد روى هذا الحديث الترمذي (٣١٠١) وحَسَّنَه .

(١٨) في « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » ص (٤٨١-٤٨٢) .

وبهذا بطل الحديث وبالتالي بطل كون هاتين الآيتين نزلتا في أبي طالب .

بيان الأوجه الأخرى التي لا يصح بها نزول ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ في أبي طالب :

وأما قوله تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت .. ﴾ الآية ، فيمكن الجواب عنها من أوجه منها :

١- أن سياق الآية هو : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ، وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ القصص : ٥٥-٥٧ .

وهذا خطاب لجماعة وليس لأبي طالب مثل قوله تعالى ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ ! وأبو طالب لم يخف أن يتخطف من أرضه بدليل مناصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلو خاف من ذلك لما دافع عنه وحصر في الشعب معه إلى آخر ما هو معلوم !

٢- كيف يصح عود الضمير على أبي طالب في قوله تعالى ﴿من أحببتَ﴾[١٩]

(١٩) قال الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٥٩) : « قوله تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ فيه وجهان : ... الثاني : من أحببته لقرابته . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن .... » . فلاحظ هذا !

وهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يحب الكفار ! فقد قال تعـالى ﴿ **إنه لا يحب الكافرين** ﴾ الروم : ٤٥ ، وقال تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم** ... ﴾ الآية ، المجادلة : ٢٢ .

(تنبيه) : لاحظوا كيف آل الأمر في أن تَجْعَل العوامل الأموية الناصبية عم النبي ووالديه عليهم سلام الله تعالى في النار[٢٠] وكيف يدافعون عن أبي سفيان ومعاوية الذي بقي عدواً لآل البيت معلناً ذلك مقترفاً للمعاصي حتى مات .

بل وصل الحال بهم وبأذنابهم المعاصرين أن يدافعوا عن مروان بن الحكم ووالده طريد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جـاء فيهما قول النبي صلى الله عليـه وآله وسلم « إنه الوزغ ابن الوزغ »[٢١] ، وكذا يدافعون عن يزيد والحجاج وأمثال هؤلاء الظالمين ويصنفوا فيهم التصانيف للذب عنهم !

أعاذنا الله تعالى من هذا الظلم المبين !

---

(٢٠) وقد بينت ذلك مفصلاً في « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » ص (٨٤-٨٦) وما بعدها .

(٢١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٩) من حديث عبد الرحمن بـن عـوف ، ونعيم بـن حماد في الفتن (١/ ١٣١) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ١١) : « وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والـد مـروان ومـا ولد أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جياد » ، قلت : ممن روى هذا اللعـن أحمـد في مسنده (٤/ ٥) والبزار (٦/ ١٥٩) والضياء في المختارة (٩/ ٣١٠) وانظر مجمـع الزوائـد (٥/ ٢٤١) حيث قال إن رجاله رجال الصحيح .

وبقي هنا أن نقول : بأن أبا هريرة روى أن آية ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ نزلت في أبي طالب عند مسلم[٢٥] !

ونجيب : بأن في سند هذه الرواية يزيد بن كيسان وهو ضعيف كما سيأتي في التعليق على بعض أحاديث هذا الكتاب وراويه أبو هريرة لم يحضر القصة لأنه أسلم سنة سبع من الهجرة كما يقولون ! فهو على أقل التقديرات رواها عن حديث ابن المسيب وقد أبطلناه ! والتحقيق أن كل ذلك من تلاعب الأيدي الناصبية الأثيمة !

فحديث أبي هريرة هنا إن صح عنه ولم يكن موضوعاً فهو من مرسلات الصحابة وكان ينبغي أن يخبرنا عمن رواه ! لا سيما وأنه أرسل أحاديث ثم حوقق فيها فتبين بعد ذلك أنها لا تصح[٢٢] !

---

(٢٢) منها حديث عبد الرحمن بن عَتَّاب قال : كان أبو هريرة يقول : من أصبح جنباً فلا صوم له ، قال : فأرسلني مروان بن الحكم أنا ورجلاً آخر إلى عائشة وأم سلمة نسألهما عن الجنب يصبح في رمضان قبل أن يغتسل ، قال : فقالت إحداهما : قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبح جنباً ثم يغتسل ويتم صيام يومه ، قال : وقالت الأخرى : كان يصبح جنباً من غير أن يحتلم ثم يتم صومه ، قال : فرجعا فأخبرا مروان بذلك ، فقال لعبد الرحمن : أخبر أبا هريرة بما قالتاه ، فقال أبو هريرة : كذا كنت أحسب وكذا كنت أظنُّ ، قال : فقال له مروان : بأظن وبأحسب تفتي الناس .

رواه أحمد في المسند (٦/ ١٨٤) واللفظ له ، ورواه البخاري في صحيحه (١٩٢٦) في كتاب الصيام / باب الصائم يصبح جنباً ، وجاء في رواية البخاري أن أبا هريرة قال : « كذلك حدثني =

[فائدة] : بيان أن هناك أحاديث في الصحيحين وغيرهما زعموا فيها أن هناك آيات نزلت في فلان أو في حوادث معينة وليس الأمر كذلك :

١ - جاء في البخاري (٣٨١٢) أن آية ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم** ﴾ نزلت في عبدالله بن سلام الإسرائيلي !!

ونقل الحافظ في الشرح (٧/ ١٣٠) أنه مشكل ونقل إنكار ذلك عن بعض السلف فقال : « وقد استنكر الشعبي فيما رواه عبد بن حميد عن النضر بن شميل عن ابن عون عنه نزولها في عبدالله بن سلام لأنه إنما أسلم بالمدينة والسورة مكية » ، ثم نقل تمحلاً مردوداً في تأويل ذلك !

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦٨) : « فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبدالله بن سلام » . والحديث في فضائل ابن سلام[٢٣] باطل عندنا لا يصح !

٢ - ذكر الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٠/ ٢٣٠) في شرح الحديث الذي فيه ذكر سحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ذلك كان سبب نزول المعوذتين ! وهذا غير صحيح لأن المعوذتين مكيتان وقضية السحر مدنية[٢٤] !

= الفضل بن عباس وهُنَّ أعلم » وقال الحافظ في الفتح في شرحه لهذا الحديث (٤/ ١٤٥) : « وفي رواية معمر عن ابن شهاب : فتلوَّن وجه أبي هريرة ثم قال : هكذا حدثني الفضل » .

(٢٣) انظر ما كتبته عنه في مقدمة كتاب « العلو » للذهبي ص (٢٤-٢٦) .

(٢٤) وقد تكلمت على هذا الأمر ببعض بسط فيه في « صحيح شرح الطحاوية » ص (٤٠١-٤٠٢) فراجعه إن شئت .

بقية الأحاديث التي ذكروا فيها أن أبا طالب مات على كفره :

أورد البخاري في صحيحه[٢٥] ثلاثة أحاديث يستدل بها كفر أبي طالب وكونه في النار !! منها حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه الذي فيه نزول آيتين في إثبات كفر أبي طالب وقد قدمنا الكلام على ذلك وإبطاله ورده ، وبقي الحديثان الآخران وهما :

١ - حديث عبدالله بن الحارث قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما أغنيت عن عمك ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » .

قلت : هذا غير صحيح البتة عندنا ! فلا يليق بالعباس رضي الله عنه أن يقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما أغنيت عن عمك ؟!) !

وأما من الناحية الحديثية : فقد روى هذا الحديث ابن سعد في « الطبقات » (١/ ١٢٥) ولفظه عن العباس رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما ترجو لأبي طالب ؟ قال : « كل الخير أرجو من ربي » .

---

(٢٥) انظر « فتح الباري » (٧/ ١٩٣/ ٣٨٨٣-٣٨٨٥) كتاب مناقب الأنصار / باب قصة أبي طالب .

وهذا اللفظ يعكر على لفظ الصحيحين ويحكم عليها بالاضطراب على حسب القواعد التي يسلكونها ويعولون عليها .

والراوي لها عن العباس هو عبد الله بن الحارث بن نوفل : وهو أموي المشرب أمه هند بنت أبي سفيان أخت معاوية ، اصطلح عليه أهل البصرة حين مات يزيد بن معاوية ، فأقره عبدالله ابن الزبير ، والعباس رضي الله عنه عم جَدِّه !

وقد روى عبدالله بن الحارث هذا روايات منكرة ومشكلة وعليها عندنا علامات استفهام ! وخاصة ما يتعلَّق منها بالصفات[٢٦] ! وكان يروي عن كعب الأحبار ترجمته في « تهذيب الكمال » (٣٩٦/١٤) .

٢- روى البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠) عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » .

قلت : هذا الحديث يجاب عنه من وجوه :

(الأول) : أنه مخالف للقرآن صراحة !

فقد أخبر الله تعالى عن الكفار **بأنهم ﴿ لا يخفف عنهم من عذابها ﴾**[٢٧]،

---

(٢٦) انظر تحقيقنا على كتاب العلو الحديث رقم (٢٧٨،٢٥٩،١٤٩،١٥٤،١٩) .

(٢٧) الآية : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ﴾ فاطر : ٣٦ .

وبأنهم ﴿ لا يُفَتَّرُ عنهم ﴾[٢٨]، وبأنهم ما هـــم منها بمخـــرجين[٢٩] ، وبأنهـــم لا ﴿ تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٣٠] ، إلى غير ذلك .

والقائلون بعدم إيمان أبي طالب وكفره يقولون بموجب هذا الحديث أنه يخفف عنه من العذاب بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم !!

ونقول لهم : بأن من شروط الشفاعة أن لا تكون إلا لمن ارتضـــاه الله تعالى ! لقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ الأنبياء : ٢٨ .

والمقرر عند أهل الأصول أن خبر الآحاد متى عارض نص القرآن القطعي سقط الاستدلال به[٣١] .

(ثانياً) : هذا الحديث أورده ابن عدي في كتابه « الكامل في ضعفاء الرجال » (٤/ ٢٣٦) في ترجمة عبدالله بن خباب والظاهر أنه من منكراته ، وذكر ابن عدي في ترجمته أيضاً : « قال السعدي : عبدالله بن الخباب الذي يروي عنه ابن الهاد سألت عنه فلم أرهم يقفون على جده ومعرفته » .

---

(٢٨) الآية : ﴿ لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسُون ﴾ الزخرف : ٧٥ .

(٢٩) الآية : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ البقرة : ١٦٧ ، وقوله تعالى ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ المائدة : ٣٧ .

(٣٠) الآية : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ المدثر : ٤٨ .

(٣١) ممن نص على ذلك الخطيب البغدادي في كتاب « الفقيه والمتفقه » (١/ ١٣٢) وانظر لتحقيق هذه المسألة مقدمتنا لكتاب « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ص (٢٧-٤٥) ومقدمة كتابنا « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » (١٢٤) .

(**ثالثاً**) : كيف ورد في حديث العباس الذي في مسلم (٢٠٩) أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وجدته في غمرات من النار **فأخرجته إلى ضحضاح** » وهنا يقول : « **لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار** » وهذا تناقض واضح !

(**ملاحظة**) : من الغريب العجيب فيما رووه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه صلى على ابن أبي سلول المنافق (والمنافقون في الدرك الأسفل من النار) واستغفر له وكفنه بقميصه كما هو مروي في الصحيحين وغيرهما ، فإذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نهاه الله تعالى قبل ذلك بسنين عن أن يستغفر للكفار ـ الذين منهم أبو طالب ـ فكيف يستغفر بعد ذلك لابن أبي سلول ويخالف ما أمره الله تعالى به ؟!

وهذا مما يؤكد لنا بطلان ما رووه في أبي طالب والله تعالى أعلم .

فصل

في ذكر العلماء الذين قالوا بإيمان أبي طالب ونجاته

ذكر مفتي الشافعية في مكة المكرمة في وقته السيد أحمد زيني دحلان في كتابه هذا « أسنى المطالب في نجاة أبي طالب » أسماء بعض العلماء الذين قالوا بنجاته وإيمانه رضي الله عنه وهم : العلامة الشريف محمد بن رسول البرزنجي صاحب الأصل ، والأجهوري، والتلمساني ، والحافظ السيوطي الشافعي ، وأحمد بن الحسين الموصلي الحنفي ، ومحمد بن سلامة القضاعي ، والقرطبي ، والسبكي ، والشعراني .

وذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٧/ ١٩٥) أن السهيلي « رأى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم »[٣٢] .

---

(٣٢) وما علق به محب الدين الخطيب الناصبي على « الفتح » من قوله بأن المسعودي : (شيعي قح من دعاتهم) مما لا يلتفت العاقل إليه لما عرف من نصب الخطيب وأنه من دعاة النصب الخبيث عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه ، فيقال للخطيب : وأنت ناصبي خبيث من دعاتهم ! فلا حياك الله تعالى ولا بياك !

وللعلامة المحدث الكوثري كتاب خاص في صفع هذا الخطيب سماه « صفعات البرهان على صفحات العدوان » .

والمسعودي رحمه الله تعالى هو علي بن الحسين بن علي المسعودي ، شافعي ترجمه السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٤٥٦) .

أقول : وقد وقفت على بعض أسماء مؤلفات من قال بنجاة أبي طالب وإليك ذلك :

١- « بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته » تأليف العلامة البرزنجي ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

وهذا الكتاب منسوب إلى الإمام الحافظ السيوطي ولما أتينا بمخطوطته من دار الكتب المصرية وجدناه للعلامة البرزنجي وهو موضوع بين رسائل للحافظ السيوطي .

٢- « إثبات إسلام أبي طالب » تأليف : مولانا محمد معين الهندي السندي التتوي الحنفي (ت١١٦١هـ) .

٣- « السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب » تأليف أبو الهدى محمد أفندي بن حسن الصيادي الرفاعي (١٢٦٦هـ -١٣٢٧هـ) كما في الأعلام (٦/ ٩٤) .

٤- « غاية المطالب في بحث إيمان أبي طالب » تأليف السيد علي كبير بن علي جعفر الحسيني الهندي الإله أبادي (١٢١٢هـ -١٢٨٥هـ) . انظر نزهة الخواطر (٧/ ٣٤٢) .

٥- « فيض الواهب في نجاة أبي طالب » تأليف الشيخ : أحمد فيضي بن علي عارف الجورومي الخالدي الرومي الحنفي (١٢٥٣هـ-١٣٢٧هـ) . انظر هدية العارفين (١/ ١٩٥) .

٦- « أبو طالب بطل الإسلام » تأليف صديقنا القاضي الفاضل السيد حيدر ابن العلامة السيد محمد سعيد العرفي حفظه الله تعالى ، وللعلامة السيد محمد سعيد العرفي مراسلات مع السيد محمد بن عقيل الباعلوي صاحب « النصائح الكافية » و « العتب الجميل » أثبتنا جملة منها في مقدمة تحقيقنا « للعتب الجميل » وهي مهمة فلينظرها من شاء .

وهناك كتب أخرى يمكن تتبعها في « معجم ما ألف عن أبي طالب عليه السلام » لعبدالله صالح المنتفكي في مجلة (تراثنا) العدد الثالث والرابع سنة ١٤٢١هـ .

٧- وأما الإمامية ففي كتاب « الميزان في تفسير القرآن » (١٦/ ٥٧) ما نصه :

« وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام مستفيضة على إيمانه ، والمنقول من أشعاره مشحون بالإقرار على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقيّة دينه ... » .

٨- وقال الشيخ الطوسي في تفسيره « التبيان » (٨/ ١٦٤) :

« وعن أبي عبدالله وأبي جعفر أن أبا طالب كان مسلماً وعليه إجماع الإمامية لا يختلفون فيه ، ولهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا محل ذكرها » .

بسم الله الرحمن الرحيم

أسنى المطالب
في نجاة أبي طالب

تأليف

مفتي الشافعية بمكة المحمية

العلامة أحمد زيني دحلان

عليه الرحمة والرضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه المتمسكين .

أما بعد : فيقول العبد الفقير ، خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام ، كثير الذنوب والآثام ، المرتجي من ربه الغفران ، أحمد بن زيني دحلان : قد وقفت على تأليفٍ جليلٍ للعلامة النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي ، المتوفى سنة ألف ومائة وثلاثة ، في نجاة أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذيَّله في آخره بخاتمة في نجاة أبي طالب ، عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأثبت نجاته ، وأقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء ، يحصل لمن تأملها أنه ناجٍ بيقين ، مع بيان معانٍ صحيحةٍ للنصوص التي تقتضي خلاف ذلك ، حتى صارت جميع النصوص صريحة في نجاته .

وسلك في ذلك مسلكاً ما سبقه إليه أحد ، بحيث ينقاد لأدلته كل من أنكر نجاته وجحد ، وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قَلَبَه عليهم وجعله دليلاً لنجاته ، وتتبع كل شبهة تمسك بها القائلون بعدم النجاة ، وأزال ما اشتبه عليهم بسببها ، وأقام دليلاً على دعواه ، وكان في بعض تلك المباحث مواضع دقيقة ، لا يفهمها إلا الفحول من العلماء ، ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم .

وبعض تلك المباحث زائدة عن إثبات المطلوب ذكرها تقوية لما أثبته ، وكشفاً لحجاب كل محجوب ، فأردت أن ألخص في هذه الوريقات المقاصد التي أثبت بها نجاة أبي طالب ، ليكون من عرفها في كل محفل هو الغالب .

واجتهدت في تسهيل عبارات تلك المباحث الدقيقة حسب الإمكان ، وحذفت ما كان زائداً عما هو مقصود بالبيان ، وزدت كلاماً يتعلق بذلك وجدته في « المواهب اللدنية » و « السيرة الحلبية » ، له مناسبة لهذه القضية ، فجاء الجميع وافياً بتحصيل المراد ، نافعاً إن شاء الله كلَّ من وقف عليه من العباد ، وسميت هذا المؤلف « **أسنى المطالب في نجاة أبي طالب** » .

وأسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق والإخلاص والقبول وحسن الختام **بجاه سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام** .

فأقول : إن العلامة البرزنجي أثبت أولاً حصول الإيمان لأبي طالب بالحجج والبراهين ، ثم أثبت له النجاة . وخرج ذلك على أرجح الأقوال عند المحققين .

أما إثبات الإيمان فانه يتوقف أولاً على معرفة معنى الإيمان ، **ومعناه شرعاً : التصديق القلبي بوحدانية الله تعالى ورسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والتصديق بكل ما جاء به عن الله تعالى** .

وأما الإسلام شرعاً فهو : **الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية** ، ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب »[1] ، فقد يجتمعان ، وذلك في المصدق بقلبه المقر بالشهادتين .

وينفرد الإسلام عن الإيمان في المنافق الذي ينطق بالشهادتين ، وينقاد لأحكام الإسلام ظاهراً ، وهو بقلبه مكذب غير مصدق .

وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدِّق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عناداً ، ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية ، وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ، ولم يتبعوه ، ولم ينقادوا لما جاء به وقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبنائهم** ﴾ .

---

(١) حديث حسن رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٩) وأحمد في المسند (٣/ ١٣٤) وأبو يعلى (٥/ ٣٠١-٣٠٢) والبزار (كشف الأستار ٢٠) وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٥٢) : « رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن مَعين وضعفه آخرون » .

أقول : علي بن مسعدة تناقض الألباني فيه فحسَّن له حديث « كل ابن آدم خطاء » في صحيح الجامع (٤٣٩١) وتخريج المشكاة (٢٣٤١) وضعف به حديث « الإسلام علانية .. » في ضعيف الجامع (٢٢٨٠) فيا للتناقض !!

فهم لم يُقِرُّوا برسالته عناداً ، ويعتقدون في قلوبهم صدقه في دعوى الرسالة ، فهؤلاء مؤمنون به في الباطن ، مكذبون به في الظاهر عناداً ، فلا ينفعهم الإيمان الباطني ، حيث كان تكذيبهم الظاهري عناداً .

وأما إذا كان عدم الانقياد الظاهري وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعنادٍ ، فإن الإيمان الباطني ينفع صاحبه باطناً عند الله في الدار الآخرة ، ولكنه في الظاهر يعامل معاملة الكفار ، فيقال : إنه كافر بحسب أحكام الدنيا[٢] .

والعذر الذي يمنع من الانقياد في الظاهر له أسباب ، منها : الخوف من ظالم بأن خاف إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله أو يؤذيه أذى لا يحتمل ، أو يؤذي أحداً من أولاده أو أقاربه ، فهذا يجوز إخفاء إسلامه[٣] .

---

(٢) أقول : كل هذه المقدمات يسوقها السيد البرزنجي والسيد أحمد زيني دحلان رضي الله عنهما لأجل حديث ابن عباس الذي فيه أن الرجل الذي في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه هو أبو طالب وكون الحديث في صحيح مسلم مع أنه شاذ مردود كما مرَّ في المقدمة ، والعوامل التاريخية الأموية هي باعتقادي التي نشرت هذا الحديث الباطل وتلك الفكرة المصادمة للحقيقة وتناقلها كثير من المسلمين دون وعي لحقيقة الأمر ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(٣) كما جاء في حديث سيدنا عمار رضي الله عنه ، فعن محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمّار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه ، فلما أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما وراءك » قال : شرٌّ يا رسول الله !! ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير ، قال : « كيف تجد قلبك » ؟ قال : مطمئناً بالإيمان قال : « إن عادوا فَعُدْ » رواه ابن جرير الطبري في تفسير (٨/ ١٤/ ١٨٢) والحاكم (٢/ ٣٥٧) وصححه على شرطهما والبيهقي (٨/ ٢٠٨) في باب المكره على الرِّدة ، وهو صحيح .

بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر ، فإنه يجوز له أن يتلفظ به . وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله : ﴿ **إلا مَن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

ومن هذا القبيل امتناع أبي طالب من الانقياد في الظاهر خوفاً على ابن أخيه ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى ليبلغ رسالة ربه ، وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم رعاية لأبي طالب ولحمايته . وكانت رياسة قريش بعد عبد المطلب لأبي طالب ، فكان أمره نافذاً ، وحمايته عندهم مقبولة ، لعلمهم بأن أبا طالب على ملتهم ودينهم ، ولو علموا أنه أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره ، بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا شك أن هذا عذر قوي لأبي طالب مانع من إظهار الانقياد الظاهر والاتباع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلهذا كان يظهر لهم أنه على دينهم وملتهم وأنه إنما يدفع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأجل القرابة التي بينه وبينه ، وكانوا يعتقدون أنه إنما يحميه وينصره للحمية لا للاتباع في الدين ، بل للحمية التي كانت مشهورة بين العرب ، وقد كان في الباطن قلبه مملوءاً بتصديقه صلى الله عليه وآله وسلم لما شاهده من المعجزات كما سيأتي إيضاح ذلك كله .

وكان يأتي في الظاهر بألفاظ تدل على ذلك ، وبألفاظ أخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم وليس متابعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لينفذوا حمايته ونصره .

ثم ذكر البرزنجي اختلاف العلماء في النطق بالشهادتين : هل هو شطر أي جزء من مسمى الإيمان أو شطر لإجراء الأحكام الدنيوية ، فيترتَّب على كونه شطراً أي جزءاً أنَّ تارك ذلك مع القدرة يكون كافراً مخلداً في النار ، وعلى كونه شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية يكون غير مخلد فقال :

قال السفاقسي في « شرح التمهيد » : إن كون الإيمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

وقال العلامة العيني في « شرح البخاري » : إن الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام ، حتى أن مَنْ صدَّق الرسول في جميع ما جاء به ، فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسانه .

وقال حافظ الدين النَّسَفِي : إن ذلك هو المروي عن أبي حنيفة وإليه ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري في أصح الروايتين عنه ، وهو قول أبي منصور الماتريدي .

وقال الإمام عضد الدين في « المواقف » : « الإيمان عندنا هو : التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة »[٤] .

قال شارحه السيد الشريف : يعني بقوله عندنا أَتْبَاع الإمام أبي الحسن الأشعري . وقد قرر الغزالي رحمه الله هذا المذهب في « إحياء علوم الدين » ، وأطال فيه ، وهو قول إمام الحرمين ، وقول الأشاعرة ، وقول القاضي الباقلاني ، والأُستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ، ونسبه التفتازاني إلى جمهور المحققين ، واستدل له بأحاديث ، منها : قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « من علم أن الله ربه ، وأني نبيه ، صادقاً من قلبه ، حرم الله لحمه على النار »[٥] رواه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين .

---

(٤) « المواقف للإيجي » (٣/ ٥٢٧) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٢٤) وأبو نُعَيم في الحلية (٦/ ١٨٢) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٠٧) وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١٩) : « رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده عمر بن محمد بن عمر بن صفوان وهو واهي الحديث » .

أقول : لا أدري من أين أتى الهيثمي بأن هذا الرجل واهي الحديث ؟! علماً بأنه ليس ابن صفوان وإنما هو ابن معدان ! فقد اختلط عليه راوٍ بآخر !! والحديث رواه البزار في مسنده (٩/ ٣٧) ولم يطعن في ابن معدان إنما ذكر بأنه حديث فرد ، وابن معدان ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٦/ ١٣٢) وسكت عليه فلم يذكره بجرح ولا تعديل ، وذكره مع حديثه في ترجمة ابن أخيه معدان بن عبد الجبار بن محمد بن عمر وذكر أن أبا زُرعة اختلف إلى معدان بن عبد الجبار أكثر من عشرين مرة ليسمع هذا الحديث ثم وصف معدان بأنه صدوق .

وحديثه أيضاً ذكره البخاري بهذا السند في تاريخه (٦/ ٤٠٨) وذكر البخاري هناك أن ابن أبي

وروى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »[٦] .

وروى الطبراني عن سلمة بن نُعَيم الأشجعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » .

القلوص قال : « فحدثت بهذا أحد ولد عبد الملك بن مروان فقال لكاتبه اكتبه » .

أقول : الظاهر صحة الحديث لكن بقيد محذوف من نص هذه الرواية وهي بإسناد صحيح في مسند أحمد (٤/ ١٦) وغيره من حديث رفاعة الجهني مرفوعاً : « لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقاً من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة » .

فالأحاديث الواردة في موضوع (من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة) مقيدة بقيدين : الأول : أن يقولها صادقاً من قلبه أي مخلصاً فيها ، والثاني : أن يسدد أي يعمل بمقتضاها فيقوم بالفروض ويجتنب الكبائر .

قال صاحب القاموس في مادة (سدد) : « سدَّدَه تسديداً : قوَّمه ، ووفقه للسداد ، أي : الصواب من القول والعمل » ، ويؤيد هذا أنه لم يرد في القرآن الكريم الإيمان إلا مع العمل في مثل قوله تعالى ﴿ **آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ وقال تعالى مبيناً ذلك كله : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ هود : ٢٣ ، والآيات في ذلك عديدة ، والله تعالى أعلم .

(٦) لم يروه البخاري وإنما رواه مسلم (٢٦) وغيره ، وهذه الزيادة (وهو يعلم) مأخوذ بها وليست من زيادات الرواة بل من محذوفات الرواة نفاقاً أو خوفاً من خلفاء بني أمية . فقد كانوا يشجعون مذهب (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) بدون شروط العمل وغيره المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

قال : قلت : يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ، قال : « وإن زنى وإن سرق »[7] .

قال : وفي أحاديث الشفاعة من هذا شيء كثير حتى يقال له صلى الله عليه وآله وسلم : « أخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان »[8] بتكرير أدنى ثلاث مرات .

---

(7) إسناده صحيح ولا يثبت بهذا الإطلاق ، فقد قيد البخاري حديث « وإن زنى وإن سرق » (5379) بقوله بعدما أخرجه في الصحيح : « قال أبو عبد الله : هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال لا إله إلا الله غُفر له » .

فمما يجب أن يُعْلَم أن هذه الأحاديث التي فيها (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة) تلاعبت فيها الأيدي الأثيمة فزادت ونقصت منها إرضاء لبعض خلفاء بني أمية الظلمة .

والحديث رواه أحمد في المسند (4/ 260) ، وعبد بن حميد في مسنده (1/ 150) وابن أبي عاصم في السنة (2/ 470برقم 970) .

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (1/ 18) : « رواه أحمد ورجاله ثقات ، والطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن الحسين المصيصي وهو متروك لا يحتج به » .

وحديث « وإن زنى وإن سرق » رواه البخاري (1237) ومسلم (94) وغيرهما من حديث أبي ذر ، ويروى عن أبي الدرداء ولم يصح عنه كما نبَّه على ذلك البخاري في الصحيح (6443) .

(8) رواه البخاري (7510) مسلم (193) بتكرير لفظ (أدنى) ثلاث مرات .

وقلت في التعليق على كتاب العلو عن هذا الحديث بتمامه في التعليق رقم (554) :

[إسناده صحيح ولا دلالة فيه على العلو . رواه البخاري (3340) ومسلم (194) وهو مردود عندنا لمعارضته القرآن من وجوه :

١ - أخبر القرآن أنَّ المؤمنين ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وأنهم ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ الأنبياء : ٣ . وقال تعالى ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ الحديد : ١٢ . فكل هذه الآيات وغيرها كثير يثبت أنَّ المؤمنين لا يدخل عليهم الخوف والضنك والفزع بل لهم البشرى والطمأنينة والسرور والحبور . وهذا الحديث يقول أنَّ الناس جميعاً حتى الأنبياء يكونون في ضيق وكرب وخوف !! وهذا آحاد وهو معارض للقطعيات فهو مردود عندنا ولا نتمحَّل في تأويله !!

٢ - في هذا الحديث إثبات وجود الشمس يوم القيامة !! ونحن نقول إنَّ الشمس لا وجود لها يوم القيامة بل إنَّ الله تعالى يخلق نوراً يجلل به أرض المحشر لقوله تعالى ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ أي بنور يخلقه ربها ، وقال ابن عباس : النور المذكور ههنا ليس من نور الشمس والقمر . انظر « تفسير القرطبي » (١٥/ ٢٨٢) . و « صحيح شرح الطحاوية » ص (٥٧٣-٥٧٧) . وقال تعالى ﴿ إذا الشمس كوِّرت ﴾ أي ذهبت وانطفأ نورها . وفي البخاري (٣٢٠٠) عن أبي هريرة نفسه مرفوعاً : « الشمس والقمر مكوَّران يوم القيامة » .

٣- قوله في الحديث (إنَّ الله غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا بعده) يفيد قيام الحوادث والتغير بذات الله تعالى وهذا باطل عندنا .

٤- قوله (نوح أول الرسل) ليس صحيحاً بل أول الرسل والأنبياء سيدنا آدم عليه السلام .

٥ - ذكر العرش في هذا الحديث وذهاب النبي تحته يفيد أنه جسم صغير يمكن أن يقف الإنسان تحته والصواب عند من يثبت جسم يسميه العرش أنَّ العرش أكبر من السموات والأرض فكيف يمكن لإنسان أن يقف تحته وما إلى ذلك . وإذا قلنا أن العرش سقف المخلوقات فالإنسان يقف دائماً تحته .

٦- يلاحظ في هذا الحديث خلوه من ذكر الصراط الذي هو جسر على متن جهنم عند من يقول به .

وعقد البرزنجي فصلاً مستقلاً ذكر فيه كثيراً من تلك الأحاديث ، وكلها دالة على أن من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من إيمان لا يخلد في النار(٩) .

ونقل التفتازاني في « شرح المقاصد » والكمال بن الهمام في « المسايرة » وابن حجر في « شرح الأربعين » أن شرط النجاة في الآخرة إذا لم يطالب به ، أي : النطق بالشهادتين فإذا طولب به وامتنع عناداً وكراهة للإسلام ، أي : امتنع امتناعاً على وجه الإباء عن الإسلام ، والكراهية والعناد ، فلا ينجو .

ويفهم من هذا القيد أنه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إباء عنه ولا عناداً ، بل لعذر صحيح وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يكون كافراً فيما بينه وبين الله

٧- الحديث برمته عندنا هو من الأفكار الإسرائيلية المنقولة عن عبدالله بن سلام وليس عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنَّ اليهود هم الذين يثبتون وجود عرش يكون الله تعالى عليه سبحانه وتعالى عمّا يقولون علواً كبيراً] .

(٩) اختلف علماء المسلمين في هذه القضية هل يخرج من النار أحد أم لا ؟ فذهب الزيدية والمعتزلة والإباضية إلى أنه لا يخرج أحد من النار دخل فيها ، لقوله تعالى ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾ **وقوله تعالى** ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ وأمثال هذه الآيات الكريمات .

وذهب أهل السنة والإمامية إلى أن بعض الناس يخرجون من النار للأحاديث الواردة في ذلك !

وحملها الفريق الأول على أنها من الإسرائيليات المتسربة لهذه الأمة أو أنها مخالفة للقواطع فلا تصح .

تعالى ، بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره ، قال تعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ .

فهذه النصوص كلها تدل على أن الإيمان هو التصديق فقط ويقابلها القول بأن التصديق وحده لا يكفي ، بل لابد من النطق باللسان مع التصديق ، فمن لم ينطق مع قدرته كان مخلداً في النار ، وقال بهذا كثيرون .

ونقل النووي في « شرح مسلم » اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول ، واعترضوا عليه في حكاية الاتفاق .

قال ابن حجر في « شرح الأربعين » : [أن لكل من الأئمة الأربعة قولاً بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ ، بل عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققي الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره : أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب] انتهى .

ثم ذكر اختلاف العلماء في أنه هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف أو يكفي الإتيان بغير المعروف ، مما يدل على الإيمان ، وذكر فيه قولين للعلماء ، فقيل: أنه يشترط اللفظ المعروف ولا يكفي غيره .

والراجح أنه لا يشترط خصوص اللفظ المعروف ، وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف .

وعبارة البرزنجي : ثم يعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما ، خلافاً للغزالي كما ذكر ذلك النووي في « الروضة » ونسبه إلى الجميع ، فنقل عن الحليمي في « منهاجه » : أنه لا خلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف ، وهو كلمة لا إله إلا الله ، حتى لو قال : لا إله غير الله ، أو ما عدا الله ، أو سوى الله ، أو ما من إله الا الله ، أو لا إله الا الرحمن ، أو لا رحمن إلا الله ، أو إلا الباري ، فهو كقوله : لا إله إلا الله ، وكذا لو قال : محمد نبي الله ، أو مبعوثه ، أو أحمد ، أو الماحي ، أو غير ذلك ، أو ما يؤدي ذلك باللغات العجمية صح إسلامه ، وحكم بكونه مسلماً .

ثم قال البرزنجي : إذا علمت ذلك فنقول : تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي صلى الله عليه وآله ، ويحوطه[10] ، وينصره ، ويعينه على تبليغ دينه ، ويصدقه فيما يقوله ، ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتِّباعه ونصره ، وكان يمدحه في أشعاره بما يدل على تصديقه ، وكان ينطق بأن دينه حق ، فمن كلامه المعروف :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البــرية دينا

---

(١٠) هذا مأخوذ مما رواه البخاري (٣٨٨٣و٦٢٠٨) ومسلم (٢٠٩) عن العباس عـم النبـي صـلى الله عليه وآله وسلم قال : يا رسول الله : هل نفعتَ أبا طالب بشيء فإنه **كان يحوطك ويغضب لك** ؟ قال : ((نعم هو في ضحضاح ...)) .

من شعره قوله :

ألم تعلمـــوا أنا وجدنا محمـــداً رسولاً كموسى صح ذلك في الكتب

وقد أوصى قريشاً باتِّباعه ، وقال : والله لكأني به ، وقد غلـب ودانـت لـه العرب والعجم ، فلا يسبقنكم إليه سائر العرب ، فيكونوا أسعد به منكم .

وهذه الوصية تكررت منه مراراً ، تـارة يـوصي بهـا بنـي هاشـم ، وتـارة يوصي بها كافة قريش ، وأوصى قريشاً عند قرب موته بوصية طويلة ولفظها :

[يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه ، وأنتم قلـب العـرب ، وفـيكم السيد المطاع ، والمقدام الشجاع ، والواسـع البـاع ، واعلمـوا أنكـم لم تتركـوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفـاً إلا أدركتمـوه ، فلكـم بـذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والنـاس لكـم حـرب ، وعـلى حربكم إلْب ، وإني أوصيكم بتعظيم هـذه البنيـة ، يعنـي الكعبـة ، فـان فيهـا مرضاة للرب ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، وصـلوا أرحـامكم ، فـإن في صلة الرحم منسأة (أي فسحة في الأجل) وزيادة في العـدد ، واتركـوا البغـي والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، وأجيبوا داعي الله ، وأعطوا الـسائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، فـإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، **وأوصيكم بمحمد خيراً ، فإنـه الأمـين في قريش ، والصدِّيق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جـاء بأمر قَبِلَهُ الجَنَان وأنكره اللسان مخافة الشنآن** ، وأيم الله كأني أنظر الى صـعاليك

العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدَّقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب وِدَادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة .....] .

وفي رواية : [دونكم وابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سَعِد ، ولو كان لنفسي مدة ، ولأجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ، ولدفعت عنه الدواهي ..] .

فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية ، كيف وقع جميع ما قاله أبو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال لهم مرة : [**لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ، وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا**] .

وقد نَوَّهَ أبو طالب بنبوة النبي قبل أن يبعث صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه ذكر ذلك في الخطبة التي خطب بها حين تزوج صلى الله عليه وآله وسلم بخديجة رضي الله عنها ، فقال في خطبته تلك :

[الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضئ معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسُوَّاس حرمه ، وجعل لنا بيتناً

محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس . إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن بِرَجُلٍ إلا رجح شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جسيم][11] .

وكان هذا قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بخمس عشرة سنة ، فانظر كيف تَفَرَّس فيه أبو طالب كل خير قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم فكان الأمر كما قال ، وذلك من أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه الله تعالى .

وروى البخاري في « تاريخه »[12] عن عقيل ابن أبي طالب رضي الله عنه ، أن قريشاً قالت لأبي طالب أن ابن أخيك هذا قد آذانا ، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن بني عمك هؤلاء **زعموا أنك تؤذيهم** فقال : « لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته »[13] .

---

(11) مذكورة في « صفوة الصفوة » (1/ 74) .

(12) تاريخ البخاري (7/ 50) .

(13) رواه الطبري في تاريخه (1/ 545) والأصبهاني في دلائل النبوة (1/ 197) وابن هشام في السيرة (2/ 101) .

ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكياً ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي قل ما أحببت ، فوالله لا أُسلمك لهم أبداً ، وقال لقريش : والله ما كذب ابن أخي قط [١٤] .

فانظر إلى نفي الكذب عنه بالحلف بحضور خصمائه قريش ، وقد جاؤوه يشكون إليه . وانظر إلى قوله : (زعموا أنك تؤذيهم) ، حيث لم يطلق القول بأنه يؤذيهم ، بل جعل ذلك أذى باعتبار زعمهم ، وأنهم يزعمون أنه من قبل نفسه وليس من عند الله ، فقال : إن كان أذى ، أي كما زعموا فانته عن أذاهم ، فلما قال له إنه من عند الله بيقين كما أنكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدَّقه ونفى عنه الكذب .

وقال : والله ما كذب ابن أخي قط [١٥] .

وقد روى أبو طالب أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد ، فمن ذلك :

---

(١٤) وهذا إسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية بزوائد الثمانية » (٤/ ١٩٢برقم٤٢٧٨) ، وقد روى هذا أبو يعلى (١٢/ ١٧٦) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ١٨٦-١٨٧) والطبراني في الكبير (١٧/ ١٩١) والأوسط (٨/ ٢٥٣) والبزار (٦/ ١١٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤-١٥) : « ورجال أبي يعلى رجال الصحيح » .

(١٥) تقدم تخريج هذا قبل قليل وأنه صحيح ثابت ، وفي لفظ أبي يعلى : « ما كذبنا ابن أخي فارجعوا » .

ما رواه الخطيب البغدادي بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال : سمعت أبا طالب يقول : حدثني محمد ابن أخي وكان والله صدوقاً ، قال : قلت له : بم بُعثت يا محمد ؟ قال : بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإتيان الزكاة [١٦] .

والمراد من الصلاة : ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها كانتا في أوائل الإسلام ، أو المراد : صلاة التهجد فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعله من أول بعثته ، ولا يصح حمل الصلاة على الصلوات الخمس ، لأنها إنما فُرِضَت ليلة الإسراء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو سنة ونصف ، وكان موت أبي طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من البعثة وعمره بضع وثمانون سنة .

والمراد من الزكاة مطلق الصدقة وإكرام الضيف وحمل الكَلّ ، و نحو ذلك من الصدقات المالية ، ومثل هذه الأشياء كان أبو طالب أُسّها ومعدنها ، وليس المراد الزكاة الشرعية المعروفة ولا زكاة الفطر ، لأن ذلك إنما فرض بعد الهجرة في المدينة ، وكل ذلك كان بعد موت أبي طالب .

---

(١٦) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ٢٤٣) في ترجمة أبي طالب وعزاه للخطيب أن الخطيب أشار إلى أنه منكر ، ولم أقف على موضعه في ((تاريخ الخطيب)) ، فلعله رواه كما قال الحافظ ابن حجر في ((الإصابة)) في كتاب ((رواية الآباء عن الأبناء)) .

وأخرج الخطيب أيضاً بسنده إلى أبي رافع مولى أم هانئ بنت أبي طالب أنه سمع أبا طالب يقول : حدثني محمد ابن أخي أن الله أمره بصلة الأرحام ، وأن يعبد الله لا يعبد معه أحداً ، قال : ومحمد عندي الصدوق الأمين (١٧) .

وقال أيضاً : سمعت ابن أخي يقول : « اشكر ترزق ولا تكفر تعذب » .

وأخرج ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذي المجاز مع ابن أخي فأدركني العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئاً ، قال : فثنى وِرْكَه ثم نزل فأهوى بِعَقِبِهِ إلى الأرض فاذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم فشربت (١٨) .

قال البرزنجي : [فلو لم يكن موحداً لما رزقه الله الماء الذي نبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أفضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم].

وقال البرزنجي : [الذي يرى مثل هذه المعجزة كيف لا يقع التصديق في قلبه ، وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق].

---

(١٧) ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ٢٤٣) في ترجمة أبي طالب وعزاها للخطيب البغدادي .

(١٨) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥٣) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٣١٢) وظاهر السند الانقطاع .

وأخرج ابن عَدِي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا ابن أخي ادع الله أن يعافيني ، فقال : « اللهم اشف عمي » فقام كأنما نشط من عقال [19] .

وأخرج أبو نُعَيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده ، قال : سمعت أبا طالب يحدِّث عن عبد المطلب أنه رأى في منامه شجرة نبتت من ظهره قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب ، قال : وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخفى وساعة تظهر ، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوماً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ، ولا أطيب ريحاً ، فيكسر أظهرهم ، ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول نصيباً فلم أنل ، فقلت لمن النصيب فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها فانتبهت مذعوراً ، فأتيت كاهنة لقريش فأخبرتها فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس ، فقال عبد الطلب لأبي طالب : لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث ، ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين ،

---

(١٩) رواه ابن عدي في الكامل (٧/ ١٠٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٧٧) وأورده الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٧/ ٢٣٦) .

فيقال له : ألا تؤمن فيقول : السبة والعار وإنما كان يقول ذلك تعمية وتستراً وإظهاراً لقريش أنه على دينهم ليتم له نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته ، لأنهم حيث علموا أنه معهم وعلى دينهم يقبلون حمايته ، بخلاف ما لو أظهر لهم مخالفتهم واتباعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا هو العذر له في قوله السبة والعار ، وفي بقائه ظاهراً على دينهم .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن ثعلب بن صغير العذري أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب ، فقال : **لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا**[٢٠] .

قال البرزنجي : قلت : بعيد جداً أن يعرف أن الرشاد في اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو .

وروى الحافظ بن حجر في « الإصابة »[٢١] عن علي رضى الله عنه : أنه لما أسلم قال له أبو طالب : الزم ابن عمك .

وأخرج أيضا عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن أبا طالب قال لابنه جعفر : صلِّ جناح ابن عمك فصلى جعفر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(٢٠) رواه ابن سعد (١/ ١٢٣) .

(٢١) الإصابة (٧/ ٢٣٧) .

كما صلى علي رضي الله عنه[٢٢] .

قال البرزنجي : فلولا أنه مصدِّق بدينه لما رضي لابنيه أن يكونـا معـه وأن يصليا معه ، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة ، فان عداوة الـدين أشـد العـداوات كما قيل :

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عــداوة من عــاداك في الديـن

فهذه الأخبار كلها صريحة في أن قلبه طافح وممتلئ بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن ذلك أيضاً : أن أبا طالب سافر إلى الشام وكان عمرُ النبـي صـلى الله عليه وآله وسلم إذ ذاك تسع سنين ، فصحبه معه ، فرآه بَحيرا الراهب ، ورأى فيه علامات النبـوة فأخبر عمـه أبا طالب وأمره بإرجاعــه إلى مكــة مخــافة عليه من اليهـود فـردَّه إلى مكــة .

ومن ذلك أيضاً ما شاهده أبو طالب في زمن عبد المطلـب مـن استـسقائه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقد روى الخطَّابي أن قريشاً تتابعـت علـيهم سنوٌ جَدْبٍ في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حـضر معـه مـن قـريش أبـا قُبيس بعد أن استلموا ركن البيت ، فقام عبد المطلب واعتضد النبي صلى الله

(٢٢) رواه خيثمة بن سليمان الأطرابلسي (ص٢٠٦) وأورده الذهبي في « الميزان » في ترجمة سيف بن عمر الكوفي ابن أخت سفيان الثوري على أنه من منكراته .

عليه وآله وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام ، ثم دعا فسقوا في الحال .

واستسقى به أبو طالب بعد وفاة عبد المطلب حين أصاب أهل مكة قحط شديد ، فأتَوا أبا طالب فقالوا له قد أقحط الوادي وأجدب العيال فَهَلُمَّ فاستسق ، فخرج أبو طالب ومعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلام ، فأخذه أبو طالب فألصقه بالكعبة ولاذ الغلام ، أي : أشار بإصبعه إلى السماء كالملتجئ وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من ههنا وههنا ، وأمطرت السماء ، واغدودق الوادي ، وكثر قطره ، وأخصب النادي والبادي ، وفي هذه يقول أبو طالب بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُذَكِّرُ قريشاً يده صلى الله عليه وآله وسلم وبركته عليهم من صغره :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل[٢٣]

يلوذ به الهُلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

---

(٢٣) ثبت في البخاري (١٠٠٩) أن هذا البيت لأبي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٢/ ٤٩٦) : [وهذا البيت من أبياتٍ في قصيدة لأبي طالب ذكرها بن إسحاق في السيرة بطولها ، وهي أكثر من ثمانين بيتاً ، قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام ، أولها : ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرا والوسائل ، وقد جاهرونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل ، يقول فيها : أعبد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركوا في أمركم كل واغل ، فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم تكونوا كما كانت أحاديث وائل ، يقول فيها : أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل ، وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق لبر في حراء ونازل ، وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله أن الله ليس بغافل ، يقول فيها : كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن حوله

فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة في أن أبا طالب رأى من الآيات المعجزات وخوارق العادات التي ظهرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أوجب أن يصدِّقه ويؤمن به إيماناً لا شك فيه ولا تردد .

ورأى أبو طالب أيضاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات وخوارق عادات في صغره غير هذه ، وذلك أن أبا طالب كان قليل المال ، وكان ذا عيال ، فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم شبعوا ، فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم : أنتم كما أنتم حتى يأتي ابني ، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم ، وإذا كان طعامهم لبناً شرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولهم ، ثم تناول

ونناضل ، ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل ، يقول فيها : وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الذمار بين بكر بن وائل ، وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل ، يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل .

قال السهيلي : فإن قيل كيف قال أبو طالب (يستسقى الغمام بوجهه) ولم يره قط استسقى إنما كان ذلك منه بعد الهجرة ، وأجاب بما حاصله : أن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه واله وسلم معه غلام . انتهى

ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وإن لم يشاهد وقوعه] انتهى كلام ابن حجر من « الفتح » .

العيال القَعْب ، أي : القدح من الخشب ، فيشربون منه فيروون من عند آخرهم ، أي : جميعهم من القعب ، وإن كان أحدهم وحده يشرب قعباً واحداً وحده فيقول أبو طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنك لمبارك .

وأخرج أبو نُعَيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً لا يحب أولاده مثله ، ولذا لا ينام إلا جنبه ويخرجه معه حين يخرج . وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أيضاً أبا طالب حباً شديداً لا يأوي إلا إليه ، ولا يطمئن قلبه إلا باتصاله به ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لما مات أبو طالب : « نالت قريش مني من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب »[٢٤] .

وقال أيضاً : « ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب »[٢٥] .

ولما رأى قريشاً تهجموا على أذيته قال : « يا عم ما أسرع ما وجدت بعدك »[٢٦] .

---

(٢٤) حسن لغيره . ذكر هذا الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٧/ ١٩٤) وروى بعض ذلك الضياء في المختارة (١/ ٥١٤) وضعفه ، وقد رواه الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٤) وذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٤) ويشهد له ما بعده .

(٢٥) رواه ابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٤) وابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٤) .

(٢٦) حسن ، رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٤١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٨) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٥) : « رواه الطبراني في الأوسط عن شخص لقي ابن سعيد الرازي قال

ومات أبو طالب وخديجة في عام واحد فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن .

ولما ظهر أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصار يدخل في دينه كثير من الناس ، اجتمع كفار قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا : قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا ، وقالوا لبني هاشم : خذوا هذه دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا أنفسكم ، فأبى بنو هاشم ، فعند ذلك اجتمع رأي قريش على منابذة بني هاشم وبني المطلب ، وإخراجهم إلى شعب أبي طالب ، والتضييق عليهم بالمنع من حضور الأسواق وأن لا يناكحوهم ، وأن لا يقبلوا لهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة ، وعلَّقوها في الكعبة .

الدارقطني : ليس بذاك ، وعيسى بن عبد السلام لم أعرفه وبقية رجاله ثقات » .

ومن الأحاديث الواردة في ذلك عن السيدة عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما زالت قريش كافة (وفي لفظ كاعة) عني حتى مات أبو طالب » رواه الطبراني في الأوسط (١/ ١٨٨) ، والديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٩٨) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٥) : « وفيه أبو بلال الأشعري وهو ضعيف » قلت : ضعفه الدارقطني وأورده ابن حبان في « الثقات » (٩/ ١٩٩) ومعناه صحيح مطابق للواقع المنقول في كتب التواريخ والسير فالحديث حسن عندنا .

وقيل : أن أبا طالب لما رأى اجتماع قريش على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم ، وأمرهم أن يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعب ويمنعوه ، ففعلوا ولم يتخلف عنهم إلا أبو لهب ، فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهوداً ومواثيق على أن لا يجالسوهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة ، ومكث بنو هاشم في الشعب ثلاث وقيل سنتين ، وأصابهم ضيق شديد ، حتى أكلوا ورق الشجر يَتَقَوَّتون به(٢٧) .

وكان أبو طالب في تلك المدة يتحفظ غاية التحفظ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى إذا جاء الليل وأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينام يفرش له فراش في الموضع الذي يعتاد أن ينام فيه فيضطجع فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقيمه عمه عن فراشه المعتاد ويأمر بعض بنيه أن ينام في ذلك الموضع ، ويفرش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في موضع آخر غير معتاد نومه فيدعه ينام فيه ، كل ذلك مبالغة في حفظه وحراسته(٢٨) .

---

(٢٧) روى هذا الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٢٠٠) والطبري في تاريخه (١/ ٥٥٣) وابن هشام في السيرة (٢/ ٢٢١) .

(٢٨) انظر « البداية والنهاية » لابن كثير (٣/ ٨٤) .

والذي كتب الصحيفة لقريش شُلَّت يده[٢٩] ، وأوحى الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سبحانه وتعالى سلط الأرضة على صحيفتهم التي كتبوها وعلقوها في الكعبة فأكلت ما فيها من عهد وميثاق وقطيعة رحم ولم يبق في الصحيفة غير اسم الله عز وجل ، فإنهم كانوا يكتبون باسمك اللهم ، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبا طالب بذلك فخرج من الشعب حتى أتى المسجد فاجتمع عليه قريش وظنوا أنه يريد أن يسلمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتلوه ! فقالوا له توبيخاً له ولمن معه :

قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم ، فقال أبو طالب : إنما أتيتكم في أمر نصف بيننا وبينكم ، أي أمر وسط لا حَيْف فيه علينا ولا عليكم . أن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط أن الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقي بها كل ما ذكر به الله تعالى ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا[٣٠] .

---

(٢٩) ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٣٤٣) أن الذي كتب الصحيفة : هشام بن عكرمة . وفي طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٩) هو : منصور بن عكرمة العبدري ، وقال الأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص١٩٨) : «قيل : طلحة بن أبي طلحة» وقال الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٣) : «وكان كاتب الصحيفة فيما بلغني .... منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشلت يده» .

(٣٠) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢١٠) .

وفي رواية : نزعتم (أي : رجعتم) عن سوء رأيكم ، وإن لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم ، فقالوا : قد رضينا بالذي تقول ، وفي رواية : أنصفتنا ، فأخرجوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا : (أي : قال أكثرهم) هذا سحر ابن أخيك .

وزادهم ذلك بغياً وعدواناً ، وبعضهم ندم ، وقال : هذا بغي منا على إخواننا وظلم لهم .

وقال لهم أبو طالب[٣١] بعد أن وجد الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا معشر قريش علام نُحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والإساءة والقطيعة .

ودخل أبو طالب ومن معه تحت أستار الكعبة وقالوا : اللهم انصرنا على من ظلمنا ، وقطع أرحامنا ، واستحل ما يحرم عليه منا ، ثم انصرفوا إلى الشعب . وعند ذلك مشى طائفة منهم في نقض الصحيفة وإبطال ذلك الحصار .

---

(٣١) كما في طبقات ابن سعد (١/ ١٨٩) .

والكلام على ذلك طويل ، وإنما القصد بيان أن أبا طالب أطلعه الله على كثير مما خص الله نبيه من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدأ أمره صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير إلى منتهاه ، وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحوناً ممتلئاً بالإيمان والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إيماناً قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ، ولم يُظْهِر ذلك الايمان ويتابعه ظاهراً مبالغة منه في حفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته وصيانته عما يؤذيه ، فكان يظهر لقريش أنه على مِلَّتهم ودينهم فلا يستطيعون مخالفته .

فمن عرف ذلك وقف على باطن الأمر وحقيقته لم يشك في إيمان أبي طالب ، فكان في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخادع قريشاً مخادعة الحرب حتى تم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفشت دعوته .

وقد صرح بالتصديق بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كثير من أشعاره ، وكان في بعض تلك الأشعار يأتي بألفاظٍ توهم على قريش أنه معهم وأنه على ملتهم ، كل ذلك مخادعة لهم للمبالغة في حفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته .

فمن أشعاره التي دلَّت على تصديقه بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من قوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... رسولاً كموسى صح ذلك في الكتب[٣٢]

---

(٣٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧) .

وهـذا البيـت مـن قصيـدة طويلـة لأبي طالــب قالهــا في زمـن محاصرة قريش لهم في الشعـب ، وهـي قصيـدة طـويلـة بليغـة غـرَّاء تـدل عـلى غايـة محبتـه للنبي صـــلى الله عليه وآله وسلــم ، وعلى التصــديق بنبــوته وشـدة حمايته له والذب عنه ومطلعهــا :

ألا بلغــا عني علـى ذات بيننـا لؤياً وخصا من لؤي بنـي كعب[٣٣]

ألم تعلموا أنا وجــدنا محمــدا رسولا كموسى صح ذلك في الكتب

ويروى : (نبياً كموسى خط ذلك في الكتب)

وأن عليــه فـي العبـاد مــودة ولا خيـر ممـن خصـه الله بالحبب

ومنهــــا :

فلسنا ورب البيـــت نسلــم أحمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب[٣٤]

ومن شعره قوله :

وشـق له من اسمــه ليجلــه فذو العرش محمود وهذا محمد

هكــذا نسـب الحــافـظ ابن حجـر في « الإصـابة »[٣٥] هـذا البيـت لأبي طالب ، وقيل : أنه لحسان بن ثابت الأنصاري .

---

(٣٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧) .

(٣٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٨) ومعجم البلدان (٤/ ٣٤٥) لياقوت الحموي .

(٣٥) « الإصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر (٧/ ٢٣٥) .

قال البرزنجي : ولا مانع أن يكون لأبي طالب وأخذه حسان فضمَّنه شعره .

واجتمع مَرَّة كفار قريش وجاؤا أبا طالب ومعهم عمارة بن الوليد ابن المغيرة وكان من أحسن فتيان قريش ، وقالوا لأبي طالب : خذ هذا بدل محمد يكون كالابن لك ، وأعطنا محمداً نقتله ، فقال : ما أنصفتموني يا معشر قريش ، آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه . ثم قال[٣٦] :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

و زاد بعضهم بعد هذا :

لولا المسبة أو حذار ملامة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

فقيل : أن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه .

وقيل : إنه من كلامه وأتى به للتعمية على قريش ليوهم عليهم أنه معهم وعلى ملتهم ، ولم يتابع محمداً ليقبلوا حمايته ويمتثلوا أمره .

---

(٣٦) كما ذكر ذلك القرطبي في « تفسيره » (٦/ ٤٠٦) .

ومن شعره قوله في النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وأبيض يُسْتَسْقى الغمام بوجهه ... ثِمالُ اليتامى عصمة للأرامل[٣٧]

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة لأبي طالب قيل أنها ثمانون[٣٨] بيتاً أفرد لها بعض العلماء شرحاً مستقلاً ، وقيل : إنها تزيد على مائة بيت

---

(٣٧) هذا الشعر في صحيح البخاري (١٠٠٩) منسوب لأبي طالب رضي الله عنه .

(٣٨) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٢/ ٤٩٦) : [وهذا البيت من أبياتٍ في قصيدة لأبي طالب ذكرها بن إسحاق في السيرة بطولها ، وهي أكثر من ثمانين بيتاً ، قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام ، أولها : ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرا والوسائل ، وقد جاهرونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل ، يقول فيها : أعبد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركوا في أمركم كل واغل ، فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم تكونوا كما كانت أحاديث وائل ، يقول فيها : أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل ، وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق لبر في حراء ونازل ، وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله أن الله ليس بغافل ، يقول فيها : كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن حوله ونناضل ، ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل ، يقول فيها : وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الذمار بين بكر بن وائل ، وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل ، يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل .

قال السهيلي : فإن قيل كيف قال أبو طالب (يستسقى الغمام بوجهه) ولم يره قط استسقى إنما كان ذلك منه بعد الهجرة ، وأجاب بما حاصله : أن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه واله وسلم معه غلام . انتهى

قالها أبو طالب حين حَصْر قريش لهم في الشِّعْب وأخبر قريشاً أنه غير مُسَلِّم محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحد أبداً حتى يهلك دونه ، ومدحه فيها مدحاً بليغاً ، وأتى فيها بكلام صريح في أنه مصدِّق بنبوته ومؤمن به فمنها البيتان السابقان : ومنها قوله :

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد ... وأحببته حب المحب المواصل
وقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعزى لقول الأباطل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
وأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسٍ دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

وفي القصيدة أبيات كثيرة مثل هذه في المعنى والبلاغة .

قال ابن كثير[39] : إن هذه القصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا مَنْ نُسِبَت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى .

وأخرج البيهقي[40] عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتاً ، فقام

ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وإن لم يشاهد وقوعه] انتهى كلام ابن حجر من « الفتح » .

(٣٩) في « البداية والنهاية » (٣/ ٥٧) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رَدَّ يديه حتى ألقت السماء بأبراقها ، ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من كثرة المطر خوف الغرق ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اللهم حوالينا ولا علينا »[41] .

وضحك صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

« لله در أبي طالب لو كان حياً لَقَرَّتْ عيناه ، مَنْ ينشدنا قوله ؟ » فقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه : كأنك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثِمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أجل »[42] .

---

(٤٠) هذا صحيح ثابت فقد روى البيت (وأبيض يستسقى الغمام) البخاري (١٠٠٩) ولفظ (اللهم حوالينا ولا علينا) البخاري ومسلم كما سيأتي بعد قليل ، وهذا السياق رواه الأصبهاني في ((دلائل النبوة)) (١/ ١٨٤) وذكره الحافظ في « الفتح » (٢/ ٢٩٥) وعزاه للبيهقي في « دلائل النبوة » وقال هناك : « وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة ، وقد ذكره ابن هشام في زوائده في السيرة تعليقاً عمن يثق به » .

(٤١) هذا النص « اللهم حوالينا ولا علينا » رواه البخاري(٩٣٣و١٠١٣و١٠١٤و١٠١٥و١٠٢٠و١٠٢١ و١٠٣٣و٣٥٨٢و٦٠٩٣و٦٣٤٢) في عشرة مواضع ، ومسلم (٨٩٧) وغيرهما .

(٤٢) رواه ابن عدي في الكامل (٣/ ٤٠٨-٤٠٩) .

قال البرزنجي : فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لله در أبي طالب »[٤٣] يشهد له بأنه لو رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يستسقي على المنبر لَسَرَّهُ ذلك ولَقَرَّتْ عيناه .

فهذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادة لأبي طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقر عينه بها ، وما ذلك إلا لِسِرٍّ وَقَرَ في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكمالاته .

ثم قال البرزنجي : فتأمل هذه المعاني الدقيقة ، ولا تكن ممن استحقرها لحقارة قائلها ، وفوق كل ذي علم عليم .

ومن غرر مدائح أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الدالة على تصديقه إياه قوله[٤٤] :

إذا أجتمعت يوماً قريش لمفخر — فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أنساب عبد منافها — ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإنَّ محمداً — هو المصطفى من سرها وكريمها

---

(٤٣) رواه بلفظ « لله أبو طالب » دون ذكر لفظ (در) الأصبهاني في « دلائل النبوة » (ص١٨٤) وابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٣/ ٤٠٩) وابن عبد البر في « التمهيد » (٢٢/ ٦٦) ومعنى (لله أبو طالب) أي : لله در أبي طالب ، فلعل لفظة در سقطت إذ قد ذكره بإثبات لفظة (در) : ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٢/ ٦٥) والحسيني في « البيان والتعريف » (٢/ ٢٦) .

(٤٤) هذه الأبيات ذكرها ابن هشام في السيرة (٢/ ١٠٤) .

وهذا موافق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « واصطفاني من بني هاشم »[٤٥] .

قال البرزنجي : وهذا نطق بالوحي قبل صدوره من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بذلك بعد مدة من قول أبي طالب ، والحديث وحي كالقرآن ، فثبت بهذه الأخبار والأشعار أن أبا طالب كان مصدقاً بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك كافٍ في نجاته .

قال القرافي في « شرح التنقيح » عند قول أبي طالب :

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل

[إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان ، وأن أبا طالب من آمن بظاهره وباطنه غير أنه ظاهراً لم يذعن للفروع .

وكان يقول : إني لأعلم أن ما يقول ابن أخي حق ، ولولا أني أخاف أن تُعَيِّرني نساء قريش لاتبعته[٤٦]] اهـ .

---

(٤٥) صحيح . هو جزء من حديث رواه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع .

(٤٦) لا يثبت هذا عندنا ، رواه مسلم (٢٥) لأنه من رواية يزيد بن كيسان وهو ضعيف ، قال يحيى القطان : « ليس هو ممن يعتمد عليه ، هو صالح وسط » وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : « يكتب حديثه ؛ محلّه الصدق ، صالح الحديث . قلت له : يحتج بحديثه ؟ قال : لا ، هو بابة فضيل بن غزوان وذويه ، بعض ما يأتي به صحيح وبعض لا ، وكان البخاري قد أدخله في كتاب الضعفاء فقال أبي يحوّل منه » . =

وأُجيب كما مَرَّ بأنه : لم يذعن ظاهراً خوفاً من أن قريشاً لا تقبل حمايته .

وقوله (لولا أني أخاف أن تعيرني نساء قريش) قال : إنما ذلك تعمية على قريش ، ليوهم عليهم أنه على دينهم[47] ، وهذا عذر صحيح بلغ به تمكين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نبوته والدعوة إلى ربه .

وجاء في « صحيح مسلم »[48] أنه يقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة « أخرج مَنْ كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » فهذا **الحديث وغيره مما يماثله من الأحاديث كلها تدل بظاهرها على أن النطق بالشهادتين ليس شرطاً في النجاة ، بل ولا دخل له فيها ، وإلا لما كان قائلها نفاقاً في الدرك الأسفل من النار .**

= فهذا الراوي صدوق في نفسه لا يتعمد الكذب إلا أنه ضعيف الحفظ لا يحتج بحديثه لأنه يخطئ ويخالف كما قال ابن حبان .

انظر « تهذيب الكمال » (٣٢/ ٢٣٢) وقال الحافظ في « التقريب » : « صدوق يخطئ » .

ويزيد ابن كيسان هو راوي حديث مسلم (٢/ ٦٧١) عن أبي هريرة مرفوعاً :

« استأذنت ربي أن أستغفر لأمّي فلم يأذن لي ؛ واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي » وفي الحديث أنه بكى وأبكى مَنْ حوله !!

(٤٧) هذا من المؤلف رحمه الله تعالى تأويل لهذه الألفاظ على فرض صحتها لمن يعتقد صحة الحديث المذكور الذي بينا عدم ثبوته .

(٤٨) صحيح مسلم (١٩٣) وفي صحيح البخاري (٢٢) ظاهر الخطاب للملائكة وفيه : « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .. » وهو حديث الشفاعة الطويل وكنت قد قلت عن هذا الحديث في تخريج العلو : [**إسناده صحيح ولا دلالة فيه على العلو** . رواه البخاري =

ثم قال البرزنجي :

وهذا الذي اخترناه من كون نجاة أبي طالب لما كان عنده من التصديق الكافي في النجاة في الآخرة هو طريق المتكلمين من أئمتنا الأشاعرة ، وهو ما دلت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة ، وكلها فيها التصريح بأنها لا تنال مشركاً ، وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتي بيانه فدل ذلك على عدم إشراكه .

ثم ذكر البرزنجي الدلائل التي تمسك بها القائلون بعدم نجاته ، وقلب استدلالهم بها على عدم النجاة ، وجعلها دالة على النجاة .

فمن ذلك : ما رواه البخاري ومسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أبا طالب كان يحوطك ، أي : يحفظك وينصرك ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ، قال :

« نعم ، وجدته في غمرات من النار » أي : مشرفاً عليها ، كما سيأتي تفسيره .

= (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) وهو مردود عندنا لمعارضته القرآن من وجوه] وقد قدمنا تلك الوجوه في التعليقات السابقة هنا .

وهذه الروايات الواردة في الشفاعة مشكلة استشكل الحافظ في الفتح (٦/ ٤٤٤) بعضها فليراجع .

وفي رواية : « وكان في غمرات من النار »[49] ، أي : مشرفاً عليها ، « فأخرجته إلى ضحضاح ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » . والضحضاح : مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار .

وفي رواية للبخاري ومسلم أيضاً ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذُكِرَ عنده عمه أبو طالب ، فقال : « لعله تناله شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منها دماغه »[50] .

وروى مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن أبا طالب « أهون أهل النار عذاباً »[51] .

---

(٤٩) لا يثبت بهذا اللفظ ، وهذا اللفظ رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) وغيرهما .
وقد رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١٢٥-١٢٦) من طريق عفان عن حماد عن ثابت عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن العباس ورجاله رجال الصحيح ، وحماد بن سلمة كلامنا فيه معروف وهو يعكر على رواية الصحيحين ، ولفظ رواية ابن سعد كما سيأتي : عن العباس رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما ترجو لأبي طالب ؟قال : « كل الخير أرجو من ربي » .

(٥٠) رواه البخاري (٣٨٨٥و٦٥٦٤) ومسلم (٢١٠) .

(٥١) رواه مسلم (٢١٢) وهو من رواية حماد بن سلمة عن ثابت ، والمعتمد عندنا أن حماداً ضعيف ، وقد بينا ذلك في مواضع كثيرة في التعليق على « دفع شبه التشبيه » و « العلو » .

قال القائلون بعدم نجاته : إن هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كفره وعلى أنه في النار ، فلا يمكن القول بنجاته لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بحاله فيما بينه وبين الله في الدار الآخرة ، فدل على أنه لم يكن مصدقاً بقلبه ، وأما ما صدر منه من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من أن يغتال ابنه من بين يديه ، وقد كلّفه بذلك عبد المطلب .

ثم قال البرزنجي : قلت : الجواب أن نفس الأحاديث التي ذكرت تدل على نجاته ، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عن الكفار ﴿ **بأنهم لا يخفف عنهم من عذابها** ﴾[52]، وبأنهم ﴿ **لا يُفَتَّرُ عنهم** ﴾[53] ، وبأنهم ما هم منها بمخرجين[54] ، وبأنهم لا ﴿ **تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾[55] ، إلى غير ذلك .

وقد ثبت في الأثر الصحيح : أن الجحيم هي الطبقة التي يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها وهي أعلى طبقات النار ، وعصاة المؤمنين عذابهم

---

(٥٢) الآية : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ﴾ فاطر : ٣٦ .

(٥٣) الآية : ﴿ لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسُون ﴾ الزخرف : ٧٥ .

(٥٤) الآية : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ البقرة : ١٦٧ ، وقوله تعالى ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ المائدة : ٣٧ .

(٥٥) الآية : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ المدثر : ٤٨ .

أخف من عذاب الكفار ، وحيث صح أن أبا طالب أهون أهل النار عذاباً على الإطلاق ، فيكون أهون عذاباً حتى من عصاة المؤمنين ، ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله صلى الله عليه وآله وسلم إنه « أهون أهل النار عذاباً »[٥٦] .

ولو فرض أنه كافر يخلد في النار وهو أهون أهل النار عذاباً ، لكان عذاب الكفر أهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة ، وهذا لا يقول به أحد ، فثبت أن عذابه أهون من عصاة المؤمنين وثبت أنه تنفعه شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذا خفف عنه العذاب وجعل أخف أهل النار عذاباً ، فأُخْرِج من طمطام النار وغمراتها[٥٧] ، أي : أبعد عما كان مشرفاً على دخوله لولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ضحضاح منها ، وألبس نعلين من النار ، فصارت لا تغطي ظهور رجليه ، وهذه هي أعلى النار لا أعلى منها ، بحيث أن النار ما مست إلا تحت قدميه وليس ذلك إلا في الطبقة الفوقانية التي مكان عصاة هذه الأمة .

وقد صحت الأحاديث بأنهم يخرجون منها ، بحيث لا يبقى فيها من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان[٥٨] .

---

(٥٦) مسلم (٢١٢) .

(٥٧) لا يثبت هذا . على مبني على حديث لا يصح وهو : « وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إليَّ فجعله في ضحضاح من النار » . رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٤٠٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٨) : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه وقد وثق » .

(٥٨) تقدم عزو ذلك للبخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) .

وقد صح أيضاً أن هذه الطبقة بعدما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفي نارها ، وتصفق الريح أبوابها[٥٩] ، وينبت فيها الجرجير[٦٠] ، ولا يجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم ، فوجب أن يخرج منها أبو طالب[٦١] بهذه الأدلة وكلها صحيحة .

ونقول : ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « شفاعتي لأهل الكبائر »[٦٢] . وفي لفظ : « لمن لم يشرك بالله شيئاً »[٦٣] .

---

(٥٩) لم يصح هذا وقد رواه ابن عدي في الكامل (٥/ ٢٢٠) وهو منكر .

(٦٠) لم يرد ذكر الجرجير في هذا الحديث البتة .

(٦١) هو لا يخلد فيها إن شاء الله تعالى أصلاً حتى يخرج منها .

(٦٢) منكر رواه الترمذي في السنن عن أنس بن مالك (٢٤٣٥) وقال : « حسن صحيح غريب من هذا الوجه وفي الباب عن جابر » . وقال الترمذي في موضع آخر (٢٤٣٦) عندما رواه من حديث جابر : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد » .
وقد أورده أبو طالب القاضي في « علل الترمذي » ص (٣٣٣) وأورده ابن أبي حاتم في كتاب « العلل » (٢/ ٧٩) وقال : [وقرأ ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ﴾ سمعت أبي يقول : هذا حديث منكر] .
فالحديث معارض للآية فهو ساقط مردود عندنا ! ويعارض قوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ .

(٦٣) رواه البخاري (٦٥٧٠) بلفظ : « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قِبَلِ نفسه » وعند ابن حبان في الصحيح (١٦/ ١٨٦) والترمذي (٢٤٤١) : « هي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » وقيدت ذلك الآية ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ .

واللام للاختصاص ، مثل : الحمد لله ، ومعناه : شفاعتي مختصة بأهل الكبائر ، وحيث كانت مختصة بأهل الكبائر ، فهي لا تكون لمشرك[٦٤] ، يعني : أن الشفاعة التي لغفران الذنوب تختص بأهل الكبائر ، فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر ، والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، لأن الله ﴿ **لا يغفر أن يشرك به** ﴾ . وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة ، لأن كل عذاب في مقابله ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذي في مقابلته ، وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لا تنفعه شفاعة الشافعين ، والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنها لا تنفع الكافرين ، كما لا تنفعهم شفاعة غيره ، وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخفف عنه العذاب وأخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار[٦٥] بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجب أن يكون من أهل الكبائر ما عدا الكفر ، ووجب أن يخرج من النار لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم في الطبقة العليا ، وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أرجو له من

---

(٦٤) فمن صحح هذا الحديث فهو ملزم بأن يقول بنجاة أبي طالب رضي الله عنه وإلا اعتقد بالمتناقضات .

(٦٥) أي مؤقت حتى تنتهي مدة عذابه ثم يخرج من النار ، هذا يلزم به من يقول بصحة تلك الأحاديث الجائية فيه ، وهي آحاد معارَضة بالقرآن والواقع عندنا .

ربي كل خير »[٦٦] وهـذا الحـديث أخرجه ابن سعـد ، وابن عسـاكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما ترجو لأبي طالب ؟ قال : « كل الخير أرجو من ربي »[٦٧] .

ولا يرجى كل الخير إلا لمؤمن ، ولا يجوز أنه يراد بهذا ما حصل من تخفيف العذاب فإنه ليس خيراً ، فضلاً عن أن يكون كل الخير ، وإنما هو تخفيف لشر ، وبعض الشر أهون من بعض ، والخير كل الخير دخول الجنة .

وأخرج تمام الرازي في فوائده بسند يعتد به في المناقب ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية »[٦٨] .

---

(٦٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٢٥-١٢٦) من طريق عفان عن حماد عن ثابت عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن العباس ورجاله رجال الصحيح ، وحماد بن سلمة كلامنا فيه معروف وهو يعكر على رواية البخاري (٣٨٨٣) من طريق عبد الله بن الحارث عن العباس قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما أغنيت عن عمك ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » .

فهذه الرواية الثانية مردودة عندنا لمعارضتها القرآن ولأن الأيدي الأثيمة متلاعبة بها كما ترى من اختلاف الروايات إلى غير ذلك مما سنذكره في مقدمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٦٧) تقدم تخريجه في التعليق السابق فانظره ، والحديث عن العباس وليس ابن عباس .

(٦٨) في الإصابة (٧/ ٢٤٣) أن تمام رواه ثم قال : منكر .

أورده المحب الطبري في كتابه « ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى » وأخرجه أبو نُعَيم ، وصرَّح بأن الأخ كان من الرَّضاع .

قال البرزنجي : إن النار اسم للطبقات كلها ، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن أبا طالب أخف أهل النار عذاباً على الاطلاق وبين وجه ذلك : بأن النار لا تمس إلا تحت قدميه ، فلا يجوز أن يكون كافراً ، لأن في المؤمنين من صح الإخبار عنهم في ذنب واحد من الغلول ، أو العقوق ، أو تعذيب الهرة ، أو التبختر بعذاب أكبر من هذا .

فقد جاء فيمن غَلَّ من الغنيمة شملة صغيرة : أنها تلتهب عليه ناراً[69] . وفيمن غل بردة من صوف : أنه جعل له درع مثلها من نار . وأن من جاء بريئاً من الغلول دخل الجنة . وجاء أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر . وذكر في بعض الأحاديث بعد الشرك بالله ، وفي القرآن : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ .

وصح : « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك وعقوق الوالدين والفرار من الزحف »[70] . وصح أيضاً : « لا ينظر الله يوم القيامة لعاق والديه »[71] .

---

(٦٩) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) .

(٧٠) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٩٥) والديلمي في الفردوس (٢/ ٩٦) وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١٠٤) : « رواه الطبراني في الكبير وفيه يزيد بن ربيعة ضعيف جداً » . قلت : حديثه واهٍ .

(٧١) واهٍ أو موضوع . أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٧) والبيهقي في السنن الكبرى =

وصحت أحاديث كثيرة في شدة عذاب العاق لوالديه ، وأنه آخر من يخرج من النار من العصاة .

وصح : « دخلت امرأة النار في هرة »[٧٢] ، أي بسبب حبسها هرة .

وصحت أحاديث كثيرة في النهي عن التبختر وشدة العذاب لمن تبختر[٧٣] ، ولو كان أبو طالب كافراً ، لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر ، مع أن عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعاً ، وهذا لا شك فيه ، فان الكفر أكبر الكبائر ، ولا يغفر بخلاف بقية الكبائر ، ولو وجد مؤمن عاص أخف عذاباً من أبي طالب لزم الخلف في قول الصادق صلى الله عليه وآله وسلم حيث جعل

= (٨/ ٢٨٨) ولفظه : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاق والديه ، ومدمن الخمر ، ومنان بما أعطى » . قلت : فيه إسماعيل بن أبي أويس وهو ضعيف ورماه بعضهم بالكذب وهو راوي الحديث الموضوع « كتاب الله وسنتي » المخرج في آخر صحيح صفة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارجع إليه إن أردت التوسع .

(٧٢) رواه البخاري (٣٣١٨) من حديث ابن عمر ونبه على رواية أبي هريرة ، ومسلم من حديث أبي هريرة (٢٦١٩) ، قلت : أنكرت السيدة عائشة على أبي هريرة روايته لهذا الحديث بهذا السياق ! فقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده ص (١٩٩) وأحمد (٢/ ٥١٩) بسند صحيح عن علقمة عن السيدة عائشة قالت لأبي هريرة :

أتدري ما كانت المرأة ؟! قال : لا ، قالت : إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة ، إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة ، فإذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر كيف تحدث .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١١٦) : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » .

(٧٣) رواه مسلم (٢٠٨٨) وغيره من حديث أبي هريرة .

أخف أهل النار عذاباً على الاطلاق ، فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين ، بل يكون أخف العصاة عذاباً .

وهذا العذاب في مقابلة كبيرة هي ترك النطق بالشهادة إن قلنا أنه لم ينطق بها ، وإن تَرْكَ النطق بها معصية من كبائر المعاصي ، وإن عذره في ترك النطق بها لا يمنع من صحة الإيمان ، لكنه لا ينفي كون ذلك الترك معصية أو نطق بها ولم يسمعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يعتد بها فكأنه ما نطق بها .

وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضر أبا طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية المخزومي ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أي عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاجّ لك بها عند الله » فقال له أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب : آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله[٧٤] .

وفي رواية : فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إيمانه قال : يا ابن أخي ، لولا مخافة قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها[٧٥] .

---

(٧٤) حديث شاذ مردود عندنا . رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) من رواية ابن المسيب عن أبيه .

(٧٥) رواه مسلم في الصحيح (٢٥) .

وفي رواية : لما تقارب من أبي طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة ، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها[٧٦] ، ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم أسمع .

وهذا معنى قولهم : أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعتد بها ، فكأنه لم ينطق بها ، والقائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث لكون العباس شهد بها حال كفره قبل أن يسلم ، وبعضهم ضعف هذا الحديث .

فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا ، وأن الحديث ضعيف فنقول : هو كافر باعتبار أحكام الدنيا ، وأما عند الله فهو مؤمن ناج ممتلئ قلبه إيماناً ، بدليل ما تقدم عنه مما يدل على ذلك أنه يمكن أن عدم نطقه بحضور أبي جهل وعبد الله بن أمية حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصيانته من أذيتهم له بعد وفاته ، لأنه كان يرى أنه إذا أظهر لهم أنه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته فلا ينال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم أذى ، وإذا كان هذا قصده كان معذوراً ، فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته .

---

(٧٦) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٦) .

على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه بأنه امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما انطلقا وذهبا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها ، ولهذا قال في الحديث السابق : ما كلمهم به ، يعني أبا جهل ومن كان معه ولم يقل آخر ما تكلم به مطلقاً ، فدل على أن قوله هو على ملة عبد المطلب[٧٧]دليل على أنه على التوحيد ، لأن عبد المطلب كان على التوحيد كبقية آبائه صلى الله عليه وآله وسلم كما حقق ذلك الجلال السيوطي وغيره في رسائل متعددة[٧٨] .

فأبهم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً وهو يعلم أن عبد المطلب كان على التوحيد .

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أن لأبي طالب عندي رحماً سأبلها ببلاها » .

والقائلون بعدم نجاته يقولون إن حديث الصحيحين الذي فيه : « كان في غمرات من النار »[٧٩] يدفع إيمانه ، وأن هذا شأن من مات على الكفر .

---

(٧٧) تقدم رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) .

(٧٨) منها رسالته المشهورة المطبوعة في « الحاوي للفتاوي » المسماة بـ « مسالك الحنفا في والدي المصطفى » .

(٧٩) مسلم (٢٠٩) .

قال البرزنجي : قلنا ليس من شأن من مات على الكفر يكون في ضحضاح من النار بل شأنه أن يكون في الدرك الأسفل من النار ، فقبول الشفاعة فيه حتى صار في ضحضاح دليل على عدم كفره ، إذ لا تقبل في الكافر شفاعة الشافعين .

وقوله : صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا أنا كان في الدرك الأسفل من النار »[٨٠] معناه : لولا أن الله هداه بي للإيمان لمات كافراً وكان في الدرك الأسفل من النار ، فهو نظير قوله صلى الله عليه وآله وسلم في ولد اليهودي الذي زاره صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه وعرض عليه الإسلام فأسلم ومات : « الحمد لله الذي أنقذه بي من النار »[٨١] .

وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف في هذا الحديث الآخر الذي كان في غمرات النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها . وهو أن المعنى : كان مشرفاً على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ، ثم تشفعت فيه فهداه الله للإيمان ، ولا ينافي هذا قوله : أنا لم أسمع ، لجواز أن الله أخبره بعد ذلك .

---

(٨٠) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) وقدمنا أنه مردود عندنا عند حديث « كل الخير أرجو له من ربي » .

(٨١) رواه البخاري (١٣٥٦) .

وقوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ وإن نزلت في أبي طالب ، فنزولها فيه لا ينافي أن الله هو الذي هداه بعد أن أيس النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي ، كرم الله وجهه قال : أخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى وقال : اذهب فغسله وكفنه وواره ، غفر الله له ورحمه ففعلت[٨٢] ، وإنما ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشي في جنازته اتقاءً مِنْ شَرِّ سفهاء قريش ، وعدم صلاته : لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ .

وقد ذكر أهل السير أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل صلى الله عليه وآله وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت إليه احدى بناته فجعلت تزيل التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تبكي يا بنيّة فإن الله مانع

---

(٨٢) رواه ابن سعد (١/ ١٢٣) وهو ضعيف لأجل الواقدي ، لكن قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٨) : « وهو رأس في المغازي والسير » .

أبـاك »[٨٣] ، وقـال : « مـا نالـت منـي قـريش شـيئاً أكرهـه حتـى مـات أبو طالب »[٨٤] .

ويؤيـد استعـجال أذاهـم له أنهـم قامـوا من عنـد أبي طالب مغضبين حاقدين على رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم حيث كـان يكـرر عـلى أبي طالـب النطـق بالـشهـادتين ، ولمـا رأى رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم قريشاً تهجموا على أذيتـه قال : يا عم ما أسرع ما وجـدت فقـدك[٨٥] .

وجـاء في روايـة البيهقـي أن عليـاً كـرم الله وجهـه لمـا مـات أبـو طالـب قال : يا رسـول الله إن عمـك الشيـخ الـضـال قـد مـات . قـال « اذهـب

(٨٣) رواه الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٤) وذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٤) .

(٨٤) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٤) وبحوه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٤) .

(٨٥) حسن ، رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٤١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥) : « رواه الطبراني في الأوسـط عـن شـخص لقـي ابـن سـعيد الـرازي قـال الدارقطني : ليس بذاك ، وعيسى بن عبد السلام لم أعرفه وبقية رجاله ثقات » .
ومن الأحاديث الواردة في ذلك عـن الـسيدة عائشة قالـت : قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم : « ما زالت قريش كافة (وفي لفظ كاعة) عنـي حتـى مـات أبـو طالـب » رواه الطـبراني في الأوسط (١/ ١٨٨) ، والديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٩٨) وقـال الهيثمـي في « مجمـع الزوائـد » (٦/ ١٥) : « وفيه أبو بلال الأشعري وهو ضعيف » قلت : ضعفه الدارقطني وأورده ابن حبـان في « الثقات » (٩/ ١٩٩) ومعناه صحيح مطابق للواقع المنقـول في كتـب التـواريخ والـسير فالحـديث حسن عندنا .

فواره » . **قلت : إنه مات مشركاً**[86] . قال : « اذهب فواره » ، فلما واريته رجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اغتسل »[87] .

---

(٨٦) هذه اللفظة إنما رواها ابن الجارود ص (١٤٣) والضياء في المختارة (٢/ ٣٦٢) والنسائي في « السنن الكبرى » (١/ ١٠٧) وكلها من طريق ناجية ولا تصح عندنا .

(٨٧) لم يصح إسناد هذا الحديث من طريق ناجية بن كعب عن سيدنا علي عليه السلام بلفظ « إن عمك الشيخ الضال قد مات » وإنما صح بلفظ « إن عمك الشيخ قد مات » وهو من رواية عبدالله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي عن سيدنا علي .

ولفظه الصحيح كما في مسند أحمد (١/ ١٢٩) : « عن علي رضي الله عنه قال : ثم لما توفى أبو طالب أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : إن عمك الشيخ قد مات ، قال : « اذهب فواره ولا تحدث من أمره شيئاً حتى تأتيني » فواريته ثم أتيته فقال : « اذهب فاغتسل ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني » فاغتسلت ثم أتيته فدعا لي بدعوات ما يسرني بهن حمر النَّعَم ، وقال وكان علي رضي الله عنه إذا غسل الميت اغتسل .

وهو بهذا السياق أو قريب منه رواه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٨٢) والبيهقي في « السنن الكبرى » (١/ ٣٠٤) والضياء في « المختارة » (٢/ ٢٧٦) والبزار في مسنده (٢/ ٢٠٧) .

ورواه الخطيب البغدادي (١٠/ ٤٥١) بإسناد حسن من طريق خلاس بن عمرو عن سيدنا علي بلفظ : فقلت له : يا رسول الله **إن الشيخ قد مات** ، قال : « ادفنه ثم اغتسل » .

فزيادة لفظة (الضال) وردت في رواية أبو إسحاق السبيعي عن ناجية بن كعب عن سيدنا علي عليه السلام وهي لفظة شاذة مردودة أجزم أنها من وضع النواصب زادوها من كيسهم ! رواه أحمد (١/ ١٣١) والنسائي (٤/ ٧٩) وأبو داود (٣٢١٤) وغيرهم .

وناجية بن كعب ضعيف قال عنه ابن المديني : (مجهول) وقال أبو حاتم : (شيخ) والشيخ عنده الضعيف . انظر « تهذيب التهذيب » (١٠/ ٣٥٦) .

فقوله (**إن عمك الشيخ الضال قد مات**) مخالف للحديث السابق .

وأجيب : بأن هذا منظور فيه إلى ظاهر حاله في الدنيا ولعل علياً كرم الله وجهه قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم ، فلا ينافي الحديث السابق المنظور فيه إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر وهو إيمانه وتصديقه .

والحاصل أنه يصح الإخبار عنه بالكفر[٨٨] بالنظر لظاهر الحال وأحكام الدنيا ، فلا ينافي أنه مؤمن باعتبار باطن الأمر وما عند الله ، بدليل البراهين السابقة الدالة على إيمانه وتصديقه .

قال البرزنجي : إن اعتمادنا في نجاته على المسلك الأول الكافي في النجاة ولا نحتاج إلى غيره ، لكن ذكرناه زيادة تأكيد للمدعي .

وقد استدل أيضاً للنجاة بقوله تعالى : ﴿ **فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ وقد صدَّقه أبو طالب ونصره بما اشتهر وعلم و نابذ قريشاً بسببه بما لا ينكـره أحد من نقلة الأخبار ،

على أن ابن الجارود رواه (١٤٣) من طريق ابو إسحاق عن ناجية عن سيدنا علي بلفظ : « إن عمك قد مات أو أبي قد مات » ، لكن فيه قول سيدنا علي عليه السلام : (إنه مات مشركاً) .

وأشنع لفظ له مروي من طريق القطان وهو القائل عن سيدنا جعفر الصادق عليه السلام : (في نفسي منه شيء ومجالد أحب إليَّ منه) قلت : مجالد من الضعفاء المشهورين عندهم ، ونحن في نفسنا أشياء من يحيى بن سعيد القطان الناصبي !!

(٨٨) ولم يصح هذا من ناحية الصناعة الحديثية .

فيكون من المفلحين[٨٩] .

وقال القائلون بعدم النجاة أنه نصره لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد ، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها .

قال البرزنجي : **أقول** : إن أريد بالفلاح أصل النجاة من النار فهو يترتب على الإيمان الذي هو التصديق عند المحققين ، وقد حصل له ذلك ، وإن أريد الفلاح التام فلا يلزم من عدمه حصول الكفر ، على أنا نقول قد اتبعه وأمر باتباعه ، لأن الظاهر من العواطف ، أي : في قوله : ﴿آمنوا به ... واتبعوا﴾ كما هو الأصل فيه ، هو الاتباع غير الإيمان ، واذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق وهو حاصل ، وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ ولم يكن إلا التوحيد وصلة الأرحام وترك عبادة الأصنام ، كما مرّ عن أبي طالب أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بم بعثت[٩٠] ؟ فأخبره أنه بُعث بصلة الأرحام وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره ، ولم يكن في ذلك الوقت فرضت الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد ، فلم يبق إلا قول : لا إله إلا الله ، فإن

---

(٨٩) وهذا دليل قرآني قوي جداً يزهق تلك الأحاديث التي في الصحاح وغيرها .

(٩٠) أورده الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٧/ ٢٤٣) في ترجمة أبي طالب وعزاه للخطيب أن الخطيب أشار إلى أنه منكر ، ولم أقف على موضعه في « تاريخ الخطيب » ، فلعله رواه كما قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في كتاب « رواية الآباء عن الأبناء » .

اعتبر بما يؤدي التوحيد فقد مرَّ أنه نطق بالوحدانية وبحقيقة الرسالة وتصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أشعاره[٩١] ، وإنما طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة وإن لم يعتد به عند الموت ، فتكون تلك القرائن دالة على أنه كان مصدقاً بقلبه ، وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت ، والخوف من الموت عندهم عار ، وقد كانوا عريقين في السيادة والمفاخرة بحيث لا يرضون أن ينسب إليهم أقل قليل مما يخالفهم ، فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيماً ، وذلك عذر ، وهذا بحسب ظاهر الأمر ، وأما في باطن الأمر فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم المبالغة في المحافظة على حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا أنه اتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم بل يخفرون ذمته وينتهكون حرمته ويبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد كان أبو طالب حريصاً على أن يكون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته الخلق إلى الله تعالى باقياً بعد موته فلذلك كان محافظاً على بقاء حرمته في قلوب قريش فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه من كمال النصرة والحماية .

---

(٩١) الشعر ديوان العرب وثبوت الإيمان عنه في شعره أقوى من تلك الأحاديث المروية في الصحاح التي تلاعب بها النواصب فزادوا فيها ونقصوا !

ثم ذكر البرزنجي احتمالات بسبب تعذيب أبي طالب مع عصاة المؤمنين غير النطق بالشهادتين[٩٢] ، فقال : يحتمل أن يكون ذلك لترك الصلاة التي كانت في أول الاسلام ، وهي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي فإن أبا طالب طلب منه صلاة تينك الصلاتين فامتنع ، وكذا التهجد الذي كان يفعله صلى الله عليه وآله وسلم في أول الاسلام فيحتمل أن امتناعه من ذلك كراهية أن يعلم قريش أنه اتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يقبلون حمايته ولا يعملون بها فيكون امتناعه من تلك الصلاة مبالغة في التعمية على قريش ومبالغة في حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته ، فيكون ذلك عذر ، ولكنه لا يمنع كون الامتناع معصية يعاقب عليها ، وكان هو في الظاهر يعلل بغير ذلك ، فإنه لما طلب منه صلاة تلك الصلاة قال : (لا تعلوني أسْتي)[٩٣] ، فيكون ذلك الامتناع عناداً واستكباراً بحسب الظاهر ، فيعاقب

---

(٩٢) ما عليه عذاب إن شاء الله سبحانه .

(٩٣) **لا يصح هذا ولا يثبت** . هذا جزء من حديث رواه أبو داود الطيالسي ص (٢٩) وأحمد (١/ ٩٩) والمحاملي في أماليه (١/ ١٩٤) والبزار (٢/ ٣٢٠) وقال الحافظ الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/ ١٠٢) : ((رواه أحمد وأبو يعلى باختصار والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن)) .

لكن ذكر الذهبي هذا الحديث في « الميزان » على أنه معلل في ترجمة سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري .

أقول : والمعلل من ذلك قصة أبي طالب وقوله (لا تعلوني أستي) أما بقية الحديث وهو أن سيدنا علي صلى قبل الناس بسبع سنين فهو صحيح ثابت له طرق وشواهد منها : ما رواه ابن ماجه (١/ ٤٤) والحاكم في المستدرك (٣/ ١١١-١١٢) بروايات عديدة ، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٠٦و١٠٧) وصاحب الآحاد والمثاني (١/ ١٤٨و١٥١) وأحمد في ((فضائل الصحابة)) (٢/ ٥٨٦) .

عليه وإن كان مبالغة في التعمية على قريش ليوهمهم أنه معهم وعلى دينهم ، ويحتمل أن دخوله النار كان لبعض حقوق العبادات التي كانت عليه بعد البعثة .

وقد ذكر البرزنجي في أول رسالته في مبحث نجاة الأبوين نجاة جميع الآباء وأنهم كانوا على التوحيد .

ثم قال في مبحث نجاة أبي طالب : لم ينقل عن أحد من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لِمَ تسب آباءنا ، وتشتم آلهتنا ، وتسفه أحلامنا ، كما قالته بقية قريش .

فلو عرفوا من آبائهم ذلك لقالوا : اترك ذكر آبائك بسوء ، وأما عداوة أبي طالب فكانت بسبب مصاهرة أبي سفيان ، فإن أبا لهب كان متزوجاً أخت أبي سفيان أم جميل ، وسميت في الإسلام أم قبيح ، وهي حَمَّالة الحطب ، فكان أبو لهب يهوى هواهم ، فالظاهر أن أبا طالب كان على ملة آبائه ، ولو عبد أبو طالب صنماً يلزم أن يكون أول من أشرك من هذه السلسلة الطاهرة ، ولم يثبت بطريق ثابت أن أبا طالب أول من أحدث الشرك وعبادة الأصنام من هذا النسب الطاهر والسلسلة المباركة ، والأصل عدم ذلك ، فهو تبع لعبد المطلب في كل أحواله من مكارم الأخلاق ، وحماية الذمار ، والرياسة حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبد المطلب ، وهذا هو الذي أشار إليه أبو طالب لما قال لكفار قريش هو على ملة عبد المطلب فخاطبهم بكلام مجمل له محمل

صحيح يخرجه عن الشرك ويدخله في زمرة الموحدين ، لِمَا ستعلمه من مناقب عبد المطلب الدالة على أنه كان موحداً وعَمَّى عليهم الأمر ليبقى جاهه وحمايته عندهم .

والحاصل أن الأحاديث التي فيها ذكر كفر أبي طالب ودخوله النار إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظراً لظاهر الشرع ، وأن دخوله النار لأجل ترك التلفظ بالشهادتين ، أو لأجل ترك فرض من الفرائض ، أو لحق من حقوق العباد ، ولا يلزم من دخوله النار خلوده فيها ، وليس في تلك الأحاديث نص على أنه يخلد في النار ، وقد شفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جعله في ضحضاح ، ولو كان كافراً ما قبلت شفاعته فيه[٩٤] .

وصح أن أخف أهل النار عذاباً عصاة المؤمنين وأن أبا طالب أخف أهل النار عذاباً[٩٥] على الإطلاق ، فهو أخف حتى من عصاة المؤمنين . وصح أن العصاة يخرجون من الجحيم ، وأن الريح تصفق أبوابها وينبت فيها الجرجير[٩٦] ، فيكون أبو طالب من المخرجين منها ، بل يكون أول المخرجين ، لأنه أخفهم عذاباً والكافرون ليسوا بمخرجين منها ، فثبت بهذه الأدلة أنه وإنْ عُذِّبَ في النار ، لا بد له من الخروج منها ودخوله الجنة ، إذ لا واسطة بين الجنة والنار .

---

(٩٤) هذا من المؤلف رحمه الله تعالى والسيد البرزنجي مخاطبة لأهل السنة حسب ما يفهمون !!

(٩٥) تقدم الكلام على هذا وأنه مروي في مسلم (٢١٢) .

(٩٦) لم يصح هذا كما تقدَّم .

ثم قال : فإن قلت : أثبت العلماء له صلى الله عليه وآله وسلم نوعاً من الشفاعة للكفار وجعلوا ذلك خصوصية لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومثلوا ذلك بشفاعته لأبي طالب وهي التخفيف من عذابه !

قلت : هذا مبني على أن أبا طالب كافر ، وقد أثبتنا إيمانه ، فهو أول الدعوى ، وقد أثبتنا أن شفاعته له باعتبار معصية من الكبائر ارتكبها فهو من أفراد قوله صلى الله عليه

وآله وسلم : « شفاعتي لأهل الكبائر »[97] وليس مستثنى من قوله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ ولا مخصصاً لعموم الآية ، فهي باقية على عمومها ، وليس عندهم مثال آخر يمثلون به لشفاعته لأحد من الكفار غير أبي طالب ، فإن كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ننظر فيه .

---

(97) رواه الترمذي في السنن عن أنس بن مالك (٢٤٣٥) وقال : « حسن صحيح غريب من هذا الوجه وفي الباب عن جابر » . وقال الترمذي في موضع آخر (٢٤٣٦) عندما رواه من حديث جابر : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد » .
وقد أورده أبو طالب القاضي في « علل الترمذي » ص (٣٣٣) وأورده ابن أبي حاتم في كتاب « العلل » (٢/ ٧٩) وقال : [وقرأ ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ﴾ سمعت أبي يقول : هذا حديث منكر] .
فالحديث معارض للآية فهو ساقط مردود عندنا ! ويعارض قوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ .

نعم إن أرادوا الكفار في ظاهر الشرع رجع الخلاف لفظياً ، ولو لم تحمل الكلام على هذا التحقيق يلزمهم أيضاً أن قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ مخصوص بغير أبي طالب ولا قائل به .

وقد تكلَّم البرزنجي على الآيات التي في القرآن التي قيل إنها نزلت في أبي طالب كقوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ (٩٨) فقال : إني تتبعت الأحاديث الواردة في سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه :

---

(٩٨) اعترف الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٧/ ١٩٥) أن في نزولها في أبي طالب نظر ، وهذا طعن صريح في حديث ابن المسيب عن أبيه في رواية قصة موت أبي طالب التي في صحيح البخاري (٣٨٨٤) .

وذكر في « الفتح » (٨/ ٥٠٨) أنها نزلت في عمه وقال : « هذا فيه إشكال ، لأن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية ، والأصل عدم تكرر النزول » .

أقول : وقوله هنا (ثبت) أنها نزلت لما أتى قبر أمه . باطل مردود لا سيما وهي من أهل الفترة .

وجاء في مسند أحمد (١/ ٩٩و١٣٠) كما أقر بذلك الحافظ في « الفتح » (٨/ ٥٠٨) عن سيدنا علي عليه السلام قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله ﴿ ما كان للنبي .. ﴾ الآية . وهذا حديث صحيح الإسناد وعبد الله بن الخليل الراوي عن سيدنا علي عليه السلام وثقه الذهبي في « الكاشف » ، وابن حبان في ثقاته (٥/ ٢٩) وقال : « روى عنه أبو إسحاق السبيعي وأهل الكوفة » ، وقد روى هذا الحديث الترمذي (٣١٠١) وحسنه .

الأول : أنها نزلت في أبي طالب .

والثاني : أنها نزلت في والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

والثالث : أنها نزلت في آباء الناس الذين ماتوا في الكفر ، كان أولادهم يستغفرون لهم .

أما الوجه الثاني وهي : أنها نزلت في والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو ضعيف جداً[99] .

وأما الوجه الأول وهو : كونها نزلت في أبي طالب فهو اختصار من الرواة في الحديث فالصحيح أن سبب النزول هو الوجه الثالث[100] .

ومما استدل به على ذلك أن الآية نزلت بالمدينة والسورة مدنية نزلت بعد تبوك وموت أبي طالب كان بمكة قبل نزول الآية بنحو اثنتي عشرة سنة ، ثم

وهذه الروايات توجب الاضطراب في سبب نزول الآية وعدم صحة الاستدلال بها على أنها نزلت في أبي طالب أو في والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وانظر كيف ينزلون الآيات وينقلون الأحاديث في الطعن في أمه صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه وعمه وهناك أحاديث ذكرناها في عذاب القبر نقلوها في بنتيه صلى الله عليه وآله وسلم وابنه القاسم عليهم سلام الله تعالى وهذا يدلك إلى أن أيدي النواصب الأثيمة التي كانت صاحبة النفوذ والدولة في العهد الأموي والعباسي أدخلت وصنعت تلك الروايات وبثتها ليعتقدها الناس ، ونحن والحمد لله تعالى لسنا ممن ينطلي عليهم ذلك .

(٩٩) وقد بينت ضعفه وأن ما ورد في ذلك شاذ مردود وإن كان في الصحيحين في « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » ص (٨٥) فارجع إليه إن شئت أن تتوسع .

(١٠٠) وقد بينا ذلك في التعليق السابق فلاحظه .

رأينا أن عليا كرم الله وجهه روي عنه من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد [١٠١] ، والترمذي [١٠٢] ، والطيالسي ، وابن أبي شيبة ، والنسائي [١٠٣] ، وأبو يعلى [١٠٤] ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي أن السبب في نزولها استغفار ناس لآبائهم المشركين ، قال علي كرم الله وجهه : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال : أولم يستغفر إبراهيم لأبيه ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ... ﴾ الآية .

فهذه الرواية صحيحة .

وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما رواها ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية ، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولو لم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل

---

(١٠١) في المسند (١/ ٩٩و١٣٠) .

(١٠٢) في السنن (٣١٠١) وقال : « حديث حسن » ، ولم يصفه بالغرابة .

(١٠٣) السنن (٤/ ٩١) .

(١٠٤) مسند أبي يعلى (١/ ٤٥٨) وحسنه المعلق عليه .

الله : ﴿ **وما كان استغفار ابراهيم لأبيه ...** ﴾ الآية[105] . يعني استغفر له ما كان حياً ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح ، فالأرجح : أنها نزلت في استغفار أناس لآبائهم المشركين لا في أبي طالب .

ثم ذكر أنه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التي فيها : أنها نزلت في أبي طالب ، مع حصول مطلوبنا ، لأن الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب فيها اختصار ، حيث قال الراوي في آخرها : « لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » فنزلت : ﴿ **ما كان للنبي ...** ﴾ الآية . ولم يقل : فقال المسلمون إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لعمه ليستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم ، فنزلت في حقهم الآية .

فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوي أنها نزلت في أبي طالب ، ولو ذكرت هذه الجملة لقيل : نزلت في استغفار أناس في آبائهم .

وبيان ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عرض على أبي طالب أن يقول لا إله إلا الله بحضور أبي جهل وعبد الله بن أمية المخزومي فأبى أبو طالب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك** » فقال المسلمون : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لعمه

---

(١٠٥) تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٤٢) .

لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم ، فنزلت في حقهم الآية[106] ، فاختصر الراوي وحذف منه الجملة الأخيرة .

ومما يدل على هذا الجمع : أنا وجدنا أحاديث يستفاد منها هذا الجمع . منها : ما رواه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما مرض أبو طالب أتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرض عليه أن يقول لا اله الا الله فأبى أبو طالب ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك » فقال المسلمون : هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاسْتَغْفروا لقراباتهم من المشركين[107]، فأنزل الله تعالى :﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا ..**﴾ الآية .

ثم أنزل : ﴿ **وما كان استغفار ابراهيم لأبيه ...** ﴾ الآية .

وروى ابن جرير من طريق شبل ، عن عمرو بن دينار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :« استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي » فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر

---

(١٠٦) رواه البخاري في مواضع منها (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) ولا يثبت عندنا كما تقدم .

(١٠٧) أورد هذا ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٢٤) محتجاً به .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمه ، فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبي** ... ﴾[١٠٨] الآية .

فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين ، فظهر أن في الرواية التي فيها أنها نزلت في أبي طالب اختصاراً وحذفاً بسببه حصل الاشتباه ، حتى ظن الرواة أنها نزلت في أبي طالب ، وليس الأمر كذلك .

ومما يؤيد أن هذا الجمع متعين أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثنتي عشرة سنة وانضم إلى ذلك حديث علي السابق الصحيح وما انضم إليه من الشواهد ، وكون الآية مدنية فلا ينبغي إلغاء تلك الشواهد ، وترجيح أنها نزلت في أبي طالب **وإن كان مذكوراً في الصحيحين إذ قد يرجح حديث غير الصحيحين لأمور تقتضي ذلك** .

وقد صرَّحوا بذلك في أصول الحديث ، فقولهم يقدَّم حديث الصحيحين أو أحدهما ليس على إطلاقه .

ومما يؤيد هذا الجمع أن المراد من أبي إبراهيم عمه ، كما حققنا ذلك في نجاة الأبوين ، وأجمع على ذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعم ابراهيم

---

(١٠٨) رواه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٤١) وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٨/ ٥٠٨) : « وهذا فيه إشكال لأن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً .... » .

وهو آزر كان يتخذ أصناماً آلهة كما حكى الله عنه وكان يقول لإبراهيم : أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم .

ولم ينقل عن أبي طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنماً إلهاً ، أو عبد حجراً ، أو نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عبادة ربه ، غايته أنه ترك النطق بالشهادتين ، أو ترك بعض الواجبات ، ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا ، فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزر عم ابراهيم في قرن واحد ، حاشا من كرم الله تعالى . قال حسان رضي الله عنه :

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

فإن أبا طالب رباه صغيراً ، وآواه كبيراً ، ونصره ، ووقَّره ، وذب عنه ، ومدحه بقصائد غرر ، ورضي باتباعه ، وليس في حديث عمرو بن دينار المار آنفاً دلالة على شركه في قوله : « استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب »[109] ، بل يمكن أن معناه أن إبراهيم استغفر لأبيه مع شركه ، فكيف لا أستغفر أنا لأبي طالب مع أن خطيئته دون الشرك ، فلا أزال أستغفر له حتى ينهاني ربي ولم ينهه بل نهى عن الاستغفار للمشركين ، لا لخصوص عمه ، فلو كان كذلك لقيل : (أن يستغفروا للمشركين ، وأن يستغفر النبي لعمه) ولم يقل كذلك .

---

(١٠٩) المخرج في التعليق السابق .

ويصرح بهذا ما أورده في « الدر المنثور » من طريق ابن جرير ، عن قتادة : أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألوه عن الاستغفار لآبائهم ، فقال : « والله إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه » فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** .. ﴾ الآية . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إني أوحي إليّ كلمات قد دخلن في أذني ووقرن في قلبي ، أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركاً »[١١٠] .

فكونه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إني لأستغفر لأبي .. » يعني : لعمي ، ثم لم يقل أمرت أن لا أستغفر له ، بل قال : « لمن مات مشركاً » ، جواب لسؤال أصحابه مع الإشارة الخفية إلى أن عمه لم يكن مشركاً ، فدلت أحاديث شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم على أنه يشفع فيمن في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان ، وهذه الاشارة الخفية كانت تقع منه صلى الله عليه وآله وسلم حرصاً منه على الصدق وأن لا يقع في كلامه لفظ مخالف للواقع ، فإنه معصوم من الكذب ، وهو منه مستحيل ، فيأتي بلفظ عام فيه إشارة خفية ، فيحصل بذلك جواب السائل ، ويرضى به ، وتَطِيب به نفسه .

---

(١١٠) رواه ابن جرير في التفسير (١١/ ٤٣) .

(ومن ذلك) ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » فكأنه وجد من ذلك ، فقال الرجل أين أبوك أنت ؟ فقال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » فأسلم الأعرابي ، وقال : لقد كلَّفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شططاً ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار[١١١] .

فأجمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجواب بقوله : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » جرياً على عادته إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطراب قلبه ، أجاب بجواب فيه تورية وإبهام مع تحري الصدق ، فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة حكم أبيه لأبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده ، لما جُبِلَتْ عليه النفوس من كراهية الاستئثار عليها ، ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب ، فأورد له جواباً موهماً تطييباً لقلبه .

---

(١١١) رواه ابن ماجه (١٥٧٣) ومعمر بن راشد في جامعه (١٠/ ٤٥٤) والبزار (٣/ ٢٩٩) والطبراني في الكبير (١/ ١٤٥) والضياء في المختارة (٣/ ٢٠٤) وغيرهم ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١١٨) : « رواه البزار والطبراني في الكبير .... ورجاله رجال الصحيح » .
وقد بينت في « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » ص (٨٦) أن الرواية الأخرى لهذا الحديث التي في صحيح مسلم والتي فيها : « إن أبي وأباك في النار » شاذة مردودة لا تثبت ونص على ذلك شيخنا السيد الشريف عبدالله ابن الصديق أعلى الله درجته ورحمه وتغمده برضوانه في كتابه الفذ « الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة » .

فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيّره الرواة بالمعنى ، كرواية مسلم أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أين أبي ؟ قال : « في النار » ، فلما ولّى دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار »[112] .

فهذه الرواية منكرة ، وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقاني في « شرح المواهب » قال : وأحسن ما يقال فيها أن الرواة تصرَّفوا فيها ، واختلفت رواياتهم ، وأن الصواب كالرواية الأولى وهو « حيثما مررت بقبر كافر ... » فهي في غاية الإتقان[113] ، يتبين بها أن اللفظ العام ، وهو : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » هو الصادر منه صلى الله عليه وآله وسلم ، فكأن بعض الرواة فهم أن قوله : « حيثما مررت بقبر كافر » شامل لأبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه كافر فغيّره ورواه بالمعنى على حسب فهمه ، وقال : « إن أبي وأباك في النار » .

وما تقدم من أن آزر عم إبراهيم وليس بأبيه هو القول الصحيح .

---

(112) رواه مسلم (203) وهو شاذ مردود كما في التعليق السابق ، وهو من رواية حماد بن سلمة .

(113) ونص على هذا مفصلاً له بدقة الحافظ السيوطي في « مسالك الحنفا في والدي المصطفى » المطبوع ضمن « الحاوي » (2/ 226) ونقلته عن السيوطي في « صحيح شرح الطحاوية » ص (86) فارجع إليه إن شئت .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي(١١٤) : إن أهل الكتابين أجمعوا على أن آزر لم يكن أباً لإبراهيم حقيقة وإنما كان عمه وسماه الله في القرآن أباً ، لأن العرب تسمي العم أباً ، وجزم بذلك الفخر الرازي ، وقال : جاء في القرآن تسمية العم أباً ، قال تعالى : ﴿ **وإلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل** ... ﴾ مع أن الكلام كان مع أولاد يعقوب ، وإسماعيل عم يعقوب ، وقد سبق الرازي على ذلك جماعة من السلف ، منهم : ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جرير ، والسُّدِّي ، قالوا : ليس آزر أبا إبراهيم ، وإنما هو عمه ، لأن إبراهيم أبوه تارخ .

وممن وافق الرازي الإمام الماوردي من أئمة الشافعية ، وقال في قوله تعالى : ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ كما قال الرازي : أن المراد تقلبه وتنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية ، وهذا وجه من وجوه تفسير الآية ، وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول .

فقد أخرج ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، وأبو نُعَيم ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ قال : من نبي إلى نبي ، ومن نبي إلى نبي ، حتى أخرجتك نبياً(١١٥) .

---

(١١٤) وابن حجر الهيتمي له كتاب « تطهير الجنان » وهو كتاب فاشل ينبغي أن نطبعه ونعلق عليه ونزيفه وندكه دكاً لأنه مبني على جرف هار .

(١١٥) رواه ابن سعد (١/ ٢٤) والطبراني في الكبير (١١/ ٣٦٢) وقال الحافظ الهيثمي في « المجمع » (٧/ ٨٦) : « رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة » .

ففسر تَقَلّبه في الساجدين بتنقله في أصلاب الأنبياء ، ولو مع الوسائط . وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية إبراهيم أوضح ، ليشمل غير الأنبياء .

(فقد أخرج) ابن المنذر ، عن ابن جُرَيج في قوله تعالى :﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي** ﴾ قال : فلا تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد في قوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أنها لا إله الا الله ، باقية في عقب إبراهيم عليه السلام[١١٦] .

وعن قتادة في الآية : هي شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد ، لا يزال في ذريته من يقولها من بعده .

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تَخْلُ من سبعة مسلمين ، فمن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق ، وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي كرم الله وجهه قال : (لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ، ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها)[١١٧] .

وقال في موضع آخر من « مجمع الزوائد » (٨/ ٢١٤) : « رواه البزار ورجاله ثقات » .

(١١٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ٦٣) .

(١١٧) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٩٧) .

وأخرج الإمام أحمد في « الزهد » بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض »[118] .

وأخرج البخاري حديث : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه »[119] فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين ، أعني : « بعثت من خير قرون بني آدم ..» الخ ، و (أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين) الخ ، أنتج ما قاله الإمام الرازي من أن آبائه كلهم موحدون ، لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعى وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام فهو المدعى أيضاً ، وإما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين : إما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح ، من أنهم « من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً » ، وإما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك ، وهو باطل بالإجماع ، قال تعالى : ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ﴾ فثبت أنهم على التوحيد ، فيكونوا خير أهل الأرض في زمانهم .

---

(١١٨) لم أقف عليه في « الزهد » لابن حنبل ولم أقف عليه كحديث ، أنما وجدته قولاً لقتادة كما في « تهذيب الكمال » للمزي (٦/ ١٠٩) و « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٧٤) .

(١١٩) رواه البخاري (٣٥٥٧) .

وقد ذكر البرزنجي والسيوطي وغيرهم ممن ألّفوا في نجاة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمهاتهم ، وفي أنهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك ، وأفردوا كل أحد من الآباء بترجمة .

وقد صح في أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لم أَزَل أُنْقَل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات »(١٢٠) وفي رواية : « لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة » .

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » فآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمهاتهم إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر ، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر ، وإلى هذا اشارة صاحب الهمزية حيث قال :

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الأمهات والآباء

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ولدت من بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ، ولم تزل تتنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حَيَّيْنِ من العرب : هاشم وزهرة »(١٢١) .

وحيث أن أبا طالب قال : (هو على ملة عبد المطلب) فلنذكر بعض ما ذكروه في عبد المطلب لتعلم علماً يقينياً أنه كان على التوحيد :

---

(١٢٠) لم أقف عليه ، وعزاه السيوطي بنحو هذه الألفاظ في « الحاوي » (٢/ ٢١١) إلى أبي نُعَيم في « دلائل النبوة » .

(١٢١) لم أقف عليه .

فمما ذكروه في عبد المطلب أنه نشأ على أكمل الصفات وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب ، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ، ويحثهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيئات الأمور ، وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة ، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة ، فقيل : لعبد المطلب في ذلك ففكَّر ، وقال : (والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته) أي : فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة ، فان أخرج من الدنيا لم تصبه عقوبة فهي مُعَدَّة له في الآخرة .

فهذا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة ، وهي نور إلهي يقع في القلب . وكان عبد المطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى ، ولم تكن شريعة مشروعة في زمنه ، فلهذا كانت عبادته التفكر في آلاء الله ومصنوعاته ، وصلة الأرحام ، واصطناع المعروف ، والاتصاف بمكارم الأخلاق ، وكان يختلي كثيراً بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه في الاستغراق في التفكير في صفات الله وأفعاله الدالة عليه .

وورد عنه في السُنَّة أشياء كان متصفاً بها ، ويأمر الناس بفعلها . منها : الوفاء بالنذر ، والمنع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، و النهي عن قتل الموؤدة ، وتحريم الخمر والزنا ، وأن لا يطوف بالبيت عرياناً . وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل ، فجاء الشرع مؤيداً لذلك ومقرراً .

وكان لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك ، وكان نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضيء في غرته . وفيه يقول القائل :

علا شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتي عبد المطلب فتستسقي به فيسقون ، ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم . ومما نقل عنه في ذلك اليوم :

لا هُمَّ أن العبد يمـ ... ـنع رحله فامنع رحلك

وانصر على آل الصليـ ... ـب وعابديه اليوم آلك

وقال أيضاً :

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع عنهم حماكا

إن عدو البيت قد عاداكا ... فامنعهموا أن يخربوا قراكا

وأخذ أصحاب الفيل له ذوداً من الإبل ، فذهب إلى أبرهة رئيسهم يسأله إطلاق إبله ، فَعَظَّمَه وأجلسه معه على سريره ، فلما سأله إطلاق إبله قال أبرهة : سَقَطْتَ من عيني ، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود أُخِذَ منك ، فقال : أنا رب الإبل وللبيت رب يمنعه . وقال : يا معشر قريش ، لا يصل إلى هدم البيت ، لأن لهذا البيت رباً يحميه ، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل فأهلكهم .

وكان لعبد المطلب إبل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ، ويشتري الزبيب فينقعه بماء زمزم ويسقيه الحاج .

ولما توفي عبد المطلب قام بالسقاية أبو طالب ثم بعده العباس .

ومن كلام عبد المطلب :

يا رب أنـــت الملك المحمـــود و أنـــت ربي الملـك المعبـــود

من عنـدك الطـــارف والتليـــد

وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول : إن لابني لشأناً عظيماً . وقد سمع من الكهان والرهبان شيئاً كثيراً في شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل ولادته وبعدها .

وكان عبد المطلب رئيس قريش مُعَظَّماً فيها ، وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه ، فإذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ، ويقول : دعوه إن له لشأن ، ثم يجلس على فراشه معه ، ويمسح ظهره ، ويسره ما يراه يصنع .

وتوفي عبد المطلب وعُمُرُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمه أبي طالب ، وكان شقيق أبيه عبد الله وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سمعت أبي العباس يقول : كان لعبد المطلب مفرش في الحِجْر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره ، وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون الفرش ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو غلام فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى ، فقال عبد المطلب : ما لابني يبكي ؟ قالوا : أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه ، فقال عبد المطلب : دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده ، فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه ، حضر عبد المطلب أو غاب .

وفي رواية : دعوا ابني إنه ليؤنس مُلكاً ، وفي رواية :فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن .

وكان عبد المطلب من علماء قريش وحكمائها ، وكان مجاب الدعوة محرماً للخمرة على نفسه ، وهو أول من تحنَّث بغار حراء ، والتحنث : التعبد الليالي ذوات العدد ، وكان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين ، وكان صعوده للتخلي عن الناس يتفكر في جلال الله وعظمته ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، وكان يقال له مطعم الطير ، ويقال له الفياض .

وُلِدَ وفي رأسه شيبة فقيل له : شيبة الحمد ، رجاء أنه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له ، وقد حقق الله ذلك ، فكثر حمدهم له ، لأنه كان مفزع قريش في النوائب ، وملجأهم في الأمور ، وشريفهم ، وسيدهم كمالاً وفعلاً ، عاش مائة وأربعين سنة .

وله مناقب كثيرة منها : حفر بئر زمزم وكانت دُرِسَتْ بعد إسماعيل ، فأُمِرَ في المنام بحفرها وأُرشد في المنام إلى مَحَلِّها ، وقصة ذلك طويلة مذكورة في كتب السير .

وفي « السيرة الحلبية » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُبْعَث جدي عبد المطلب يوم القيامة في زي الملوك وأبهة الأشراف » .

قال البرزنجي : ويروى أن عبد المطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك ويبعث أمة وحده ، قال : لأنه كان على التوحيد ، وذلك كمن أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أمثاله كزيد بن عمرو بن نُفَيل وورقة بن نوفل أنه يبعث أمة وحده[١٢٢] ، ومن يبعث أمة وحده لا يبعد أنه يعطى نور الأنبياء ، لأنه مستقل لا تابع .

---

(١٢٢) وردت أحاديث في زيد بن عمرو بن نفيل رواها الضياء في المختارة (٣/ ٣٠٨) وقال : إسناده حسن ، وورقة بن نوفل ، رواه الطبراني كما في « المجمع » (٩/ ٤١٦) وقال : « رجاله رجال الصحيح » .

وأما كونه يعطى جمال الملوك فلأنه كان سيد قريش في زمانه ، وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا ، وهذا له شاهد فيما رواه البيهقي وأبو نُعَيم عن كعب الأحبار[١٢٣] أنه قال : في التوراة في صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : إنهم في القيامة يعطون نور الأنبياء .

وبالجملة ، فمن وقف على ما ذكره العلماء في ترجمته ، علم علماً يقيناً أنه كان على التوحيد[١٢٤] ، وهكذا بقية آبائه إلى آدم عليه السلام ، وبهذا يعلم أن قول أبي طالب : هو على ملة عبد المطلب ، إشارة إلى أنه على التوحيد ، ومكارم الأخلاق ، ولو لم يصدر من أبي طالب من الإشارات الدالة على التوحيد إلا قوله : (وهو على ملة عبد المطلب) لكان ذلك كافياً ، فلله دره من لبيب حاذق .

وهذا المسلك الذي سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في نجاة أبي طالب لم يسبقه إليه أحد ، فجزاه الله أفضل الجزاء ومسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كل من كان متصفاً بالإنصاف من أهل الإيمان ، لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ، ولا تضعيف لها وغاية ما فيه أنه حملها على معان مستحسنة

---

(١٢٣) كعب الأحبار كذاب أشر ، وقد بينا بعض حاله في مقدمة العلو والتعليقات فليراجعها من شاء .

(١٢٤) لو قال إنه كان من أهل الفترة وأهل الفترة ناجون لكان أقوى بنظري والله تعالى أعلم ، فربما كانت هناك أدلة صحيحة في أنهم على التوحيد لم نقف عليها .

يزول بها الإشكال ، ويرتفع الجدال ، ويحصل بذلك قرة عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه فإن ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى « بشهاب الأخبار » للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ أن بغض أبي طالب كفر .

ونص على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه ، والتلمساني في « حاشيته على الشفا » فقال عند ذكر أبي طالب :

« لا ينبغي أن يذكر إلا بحماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه حماه ونصره بقوله وفعله وفي ذكره بمكروه أذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافر والكافر يقتل . وقال أبو الطاهر : مَنْ أبغض أبا طالب فهو كافر » .

والحاصل أن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر يقتل فاعله إن لم يتب ، وعند المالكية يقتل وإن تاب .

وروى الطبراني والبيهقي أن ابنة أبي لهب واسمها سبيعة ، وقيل : درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها : لا تغني عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار فتأذَّتْ من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأشتد غضبه ثم قام على المنبر ، فقال : « ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ، فمن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى »(١٢٥) .

وأخرج ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من آذى شعرة مني فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى »(١٢٦) .

فبغض أبي طالب والتكلم فيه يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤذي أولاده الموجودين في كل عصر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تؤذوا الأحياء بِسَبِّ الأموات »(١٢٧) .

---

(١٢٥) حسن . رواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٢٦٢) ، وذكر الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٧/ ٦٣٥) أن الحديث رواه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده وفيه رجل ضعيف ، ونص ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/ ٧٥) عن أبيه أن الحديث غير صحيح عنده .

وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢٥٧) : « رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات » ، وللقصة طريق أخرى رواها الطبراني وقال الهيثمي هناك أيضاً : « رواه الطبراني .... وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح » .

(١٢٦) انظر « فيض القدير » (٦/ ١٨) .

(١٢٧) رواه الفاكهي في « أخبار مكة » (٣/ ١٥٨) ، ويشهد له ما في البخاري (٦٥١٦) من حديث السيدة عائشة مرفوعاً : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » ، وفي الترمذي (١٩٨٢) من حديث المغيرة مرفوعاً : « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » .

ومما يؤيد هذا التحقيق الذي حققه العلامة البرزنجي في نجاة أبي طالب : أن كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب ، منهم : القرطبي ، والسبكي ، والشعراني[(١٢٨)] ، وخلائق كثيرون ، وقالوا : هذا الذي نعتقده ونَدين الله به وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي .

فقد اتفق معهم على القول بنجاته فقول هؤلاء الأئمة بنجاته ، أسلم للعبد عند الله تعالى ، لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتها العلامة البرزنجي .

ومما استدل به القائلون بعدم نجاته أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يورِّث منه جعفراً ولا علياً لاختلاف الدِّين ! وأجاب البرزنجي عن ذلك بوجوه :

منها : أن الميراث في وقت موت أبي طالب لم يُفْرَض ، وإنما كان الأمر بالوصية فقد يكون أبو طالب أوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيراً ، ويُحْتَمَل على تسليم أن عقيلاً أخذ ذلك ميراثاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما سكت معاملة لأبي طالب وعقيل بحسب ظاهر الأمر من الكفر بحسب أحكام الدنيا .

---

(١٢٨) والمسعودي صاحب التاريخ كما في « فتح الباري » (٧/ ١٩٥) .

قيل : إن مما نزل في أبي طالب : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾[129] وهذا القول ضعيف جداً كالقول بأنها نزلت في أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن ذلك ضعيف أيضاً بل قيل : إن ذلك باطل لا أصل له ، والآية إنما نزلت في اليهود .

قال أبو حيان في « البحر »[130] : وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك ، أي : فإن الجميع نزل في اليهود ، والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها ، كما أشار إلى ذلك المولى أبو السعود في تفسيره .

وقد ذكر البرزنجي أحاديث كثيرة تدل على نجاة أبي طالب ثم قال : وإن كان بعضها ضعيفاً لكن لكثرتها يقوي بعضها بعضاً ، لا سيما وأكثرها صحيح لا ضعف فيه .

فمن الصحيح : ما أخرجه ابن سعد ، وابن عساكر عن علي كرم الله وجهه ، قال : أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى ، وقال : « اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه »[131] .

---

(١٢٩) البقرة : ١١٥ .

(١٣٠) في تفسيره « البحر المحيط » (١/ ٥٨٩) من طبعة دار الفكر الواقعة في عشرة مجلدات ، والمصنف رحمه الله تعالى نقل كلامه هنا بالمعنى وليس بنصه .

(١٣١) رواه ابن سعد (١٢٣) لا يصح .

وفي السيرة الحلبية أن هذا الحديث أخرجه أيضاً : أبو داود ، والنسائي ، وابن الجارود ، وابن خزيمة عن علي كرم الله وجهه ، قال : لما مات أبو طالب أخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بموته فبكى ، وقال : « اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه »[132] .

على أن اعتمادنا على المسلك الأول الكافي في النجاة ولا نحتاج إلى هذا ولكنه زيادة تأكيد في المدعى .

ومن الأحاديث التي ذكرها في الشفاعة : ما رواه الإمام أحمد ، والطبراني ، والبزار ، عن معاذ بن جبل وأبي موسى رضي الله عنهما ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن ربي خيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة ، فاخترت لهم الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً »[133] .

---

(١٣٢) لم يروه بهذا اللفظ إلا ابن سعد ولا يثبت هذا ، والحديث الذي عزاه لأبي داود والنسائي هو الذي بلفظ : « إن عمك الشيخ الضال قد مات قال : اذهب فواره » وقد تقدَّم هذا وتخريجه وأن لفظة (الضال) لا تثبت فيه بل هي من زيادات النواصب .

وهو من رواية أبي داود وغيره ضد الصواب الذي نعتقده وليست مع ما نريد ، فليتنبه لذلك .

(١٣٣) رواه أحمد (٥/ ٢٣٢) عن معاذ وأبي موسى الأشعري ، والترمذي (٢٤٤١) من حديث عوف بن مالك الأشجعي . وهو حديث صحيح ، وأبو بردة ابن أبي موسى الأشعري أحد الرواة له عن معاذ وأبي موسى ناصبي ليس بحجة .

وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والطبراني عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني أَخَّرت شفاعتي وجعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً »[١٣٤] .

وفي رواية لأبي يعلى وأبي نُعَيم ، عن أبي ذر رضي الله عنه : « وهي نائلة منهم إن شاء الله تعالى مَنْ لم يشرك بالله شيئاً »[١٣٥] .

وفي رواية عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سألت الله أن لا يلقاه عبد من أمتي يوحده إلا أدخله الله الجنة »[١٣٦] .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول إبراهيم : ﴿ **فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ وقول عيسى : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فرفع يديه وقال : « أمتي أمتي » ثم بكى فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك[١٣٧] .

---

(١٣٤) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٤) وأحمد (٥/ ٢٣٢) والحديث صحيح وليس بهذا السند الذي فيه أبو بردة ابن موسى الأشعري .

(١٣٥) رواه ابن حبان في الصحيح (١٤/ ٣٧٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٤) وأحمد (٥/ ١٦١-١٦٢) والبزار (٩/ ٤٦١) والطيالسي ص (٦٤) وغيرهم ، وهو صحيح الإسناد .

(١٣٦) فيه ضعف . رواه ابن حبان في الصحيح (١٤/ ٣٠٩) .

(١٣٧) رواه مسلم (٢٠٢) .

وروى البزار والطبراني عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أشفع لأمتي حتى يناديني ربي : أرضيت يا محمد ؟ فأقول : إي ربي رضيت »[١٣٨] .

وروى الطبراني في الأوسط بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني أخّرت شفاعتي لأمتي ، وهي بالغة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً »[١٣٩] .

قال البرزنجي : فانظر هذه الأحاديث فإنها كلها تدل على أن الشفاعة لا تنال مشركاً وقد نالت الشفاعة أبا طالب بنص الحديث الصحيح[١٤٠] ونعلم قطعاً أنه كان يصدّق بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصِدْقَه وحقيقة دينه ، وكفى بالظاهر دليلاً ، فلا بد من القول بنجاته .

---

(١٣٨) ضعيف . رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣٠٧) والبزار (٢/ ٢٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٧٩) وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٧٧) : « رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أحمد بن زيد المداري ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم » ، وحسنه المنذري في الترغيب (٤/ ٢٤١) .

(١٣٩) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٥٧) وقال الهيثمي في « المجمع » (٨/ ٢٦٨) : « رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن » .

(١٤٠) لما تقدم في البخاري (٣٨٨٣) حيث جعل في ضحضاح من النار وهو أهون أهل النار عذاباً كما جاء في مسلم (٢١٢) . مع أنني لا أقول بهذه الأحاديث وإنما أقول بحديث : « كل الخير أرجو له من ربي » رواه ابن سعد (١/ ١٢٥-١٢٦) وقد تقدم .

ولا منافاة بينها وبين الأحاديث التي فيها ذكر كفره ودخوله النار لما تقدم أن الحُكْمَ بكفره إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظراً لظاهر الشرع ، وأن دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض ، وهذا لا يلزم منه خلوده في النار ، وليس هناك نص على أنه مخلد في النار مع ما مَرَّ في بيان سبب نزول النهي عن الاستغفار من الجمع ولله الحمد .

وتقدَّم أن قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ لا يمنع من إيمانه ، فإنها إنما دلَّت على أنك لا تهديه ، ولكن الله يهدي من يشاء ، فنقول : إن الله هداه .

وتقدم أن العباس لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أتى بالشهادة قال له : لم أسمعه ، إنما قال له ذلك نظراً إلى ظاهر الحال ، وذلك لا يمنع أن الله أطلعه على إيمانه ، ولذلك قال : « كل الخير أرجو له من ربي »[١٤١] .

وقد صَحَّ أن العباس سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أترجو لأبي طالب خيراً ؟ قال : « كل الخير أرجو من ربي »[١٤٢] وهذا الحديث رواه ابن سعد في الطبقات بسند صحيح .

ورجاؤه صلى الله عليه وآله وسلم محقق ولا يرجو كل الخير إلا لمؤمن ولا يجوز أن يراد بهذا ما حصل له من تخفيف العذاب فإنه ليس خيراً فضلاً عن أن

---

(١٤١) رواه ابن سعد في « الطبقات » كما تقدم (١/ ١٢٥-١٢٦) .

(١٤٢) رواه ابن سعد في « الطبقات » كما تقدم (١/ ١٢٦) .

يكون كل الخير ، وإنما تخفيف العذاب تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض ، وحصول كل الخير إنما يكون بدخول الجنة .

قال بعض العارفين : إنه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبي طالب ثبوتاً لا شك فيه ، ولعل السبب في أن الله أبهم أمره بحسب ظاهر الشرع لتطيب قلوب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين كان آباؤهم كفاراً ، لأنه لو صرح لهم بإيمان أبي طالب وهم يرونه كافراً بحسب الظاهر مثل آبائهم تنفر قلوبهم وتتوغر صدورهم ويقولون إنه لا فرق بينه وبين آبائنا فكيف يكون ناجياً وهم معذبون ؟ وهذا يكون منهم بحسب ما تقتضيه الطبيعة البشرية فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها ، كما تقدم نظير ذلك في الذي قال أين أبي ؟

ولو أظهر أبو طالب إيمانه لفات ما قصده من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته ، ثم في ذلك لله تعالى حِكَمٌ كثيرة لا اطلاع لنا عليها ، فيجب علينا التسليم لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه والرضا به ، وحفظ الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وتحسين الظن بهم حتى لا يطالبنا أحد منهم بظلامة ، ونسأل الله تعالى التوفيق .

هذا خلاصة ما لخصته من الخاتمة التي ذيَّل بها العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي رسالته التي ألفها في نجاة الأبوين مع ما ضممته إلى ذلك مما وجدته في « المواهب اللدنية » و « السيرة الحلبية » وغيرهما من الكتب المعتمدة المرضية .

تكملة

قال العلامة البرزنجي في آخر الخاتمة التي هي آخر رسالته : لما أكملت تسويده في أوائل شهر الله الحرام ذي القعدة من شهور سنة ألف وثمان وثمانين بالمدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام في منزلي بالزقاق المشهور بزقاق البدور ، وهو داخل السور أرسلت به إلى بعض خُدَّام الحرم الشريف ممن له قدم في طريق الله تعالى وله أذكار وأوراد وله سلوك ، وهو متوسم بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم صلى الله عليه وآله وسلم فإنه هديته صلى الله عليه وآله وسلم فإن وقع في حيز القبول بيضته وإلا ضيعته قبل أن تنتشر منه النسخ ، فأدخله تحت واستمر فيه ليلتين ثم ردَّه إليّ وبشرني بأنه وقع في حيز القبول من حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشفعه في جميع الفروع ، فحمدت الله على ذلك وبيضته بعون الملك المالك ، فالحمد لله على ما أنعم وألهم ، ثم له الحمد على أنه كما بدأ تمم ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده كما ينبغي لجلال وجهه وعظمة سلطانه ، حمداً يستوجب المزيد الموعود بقوله تعالى ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ .

وأكمل الصلاة والتسليم على المبعوث بالقرآن الحكيم والموصوف بالخلق العظيم المنعوت بأنه : ﴿ **بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ صلاة وسلاماً تجازيان عناه

وتوازيان غِناه ، وعلى آله وأصحابه وآبائه وأمهاته وأزواجه وذرياته وورثة علومه وعباداته ، وغفـر الله لنا ولوالدينا وإخواننا قلباً وصلباً وديناً ولجميع المسلمين والمسلمات ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

هذا آخر ما في رسالة السيد محمد بن رسول البرزنجي المؤلفة في نجاة الأبوين ، المذيلة بالخاتمة التي في نجاة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تسويد ذلك يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان المبارك سنة ألف وثلثمائة وثلاث من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ترجمة مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي

اعلم أن العلامة الشيخ محمد المرادي الدمشقي في كتابه « أسلاك الدرر في وفيات أعيان أهل القرن الثاني عشر » ترجم مؤلف الرسالة المذكورة وهو العلامة مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي المنتهي نسبه إلى الإمام سيدنا موسى الكاظم ابن الإمام سيدنا جعفر الصادق ابن الإمام سيدنا محمد الباقر ابن الإمام سيدنا علي زين العابدين ابن الإمام سيدنا الحسين السبط ابن الإمام سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بترجمة جليلة .

ووصفه بكثرة العلم والعمل ، وقوة الفكر والفهم والإدراك والاقتدار على الجدل ، وإقامة الحجة والبرهان ، بحيث أنه في أكثر محاوراته يقلب حجة خصمه ويجعلها حجة عليه ، كما رأيت في هذه الرسالة .

وكذلك ترجمه العلامة الحموي في نتائجه ، والذهبي في نفحاته ، والعلامة البيتي في شذوره ، والعياشي في رحلته ، وأطنب كل منهم في مدحه غاية الإطناب ، وقالوا فيه : كان علامة المعقول والمنقول ، وإمام أهل الفروع والأُصول ، الجامع للفنون العلمية ، المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية ، واجتمع عنده من الفضائل ما يعجز عن ذكره الناقل ، مع علو همة ، وخوف من الله في السر والإعلان ، ووقوف مع الحدود الشرعية .

قالوا : وكان له قوة اقتدار على الأجوبة والمسائل الغامضة المشكلة في أسرع وقت وأسهله وأوجزه وأكمله ، وذكر بعضهم أنه قد عده بعض العلماء في المجددين وقال في سرده أسماء المجددين نظماً :

حادي عشر قد كان برزنجي مجدداً و شرطه جلى

ولد رحمه الله سنة ألف وأربعين ، ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول بشهرزور بقرية برزنج ، وبها نشأ ، وقرأ على والده ، وبه تخرَّج في العلوم ، ثم رحل إلى بلدان كثيرة ، وأخذ العلوم عمن بها من العلماء الأعيان ، وتوطن المدينة المنورة ، وتصدَّر بها للتدريس ، وألف التصانيف العجيبة المفيدة ، منها ما مر ومنها :

« أنهار السلسبيل في شرح أسماء التنزيل » للبيضاوي .

وشرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث ، وسماه : « المصطبح لإيضاح ألفية المصطلح » .

و « مختصر تلخيص المفتاح » .

و « مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود » .

و « الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي » .

و « جالي الأحزان في فضائل رمضان » .

و « الإشاعة في أشراط الساعة » .

وله مؤلفات كثيرة غير ذلك كلها من أعجب الأعاجيب .

توفي رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ألف ومائة وثلاثة ظهر يوم الاثنين في داره بدقاق القشاشي ، وكان له مشهد عظيم .

قيل : إنه مات مسموماً ودفن بالبقيع الشريف عند أرجل بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم خارج القبة الشريفة التي عليهن مما يلي القبلة بين القبة المذكورة وقبة سيدنا عباس وأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين .

وبجانبه قبر العلامة السيد جعفر ابن السيد حسن البرزنجي الآتي ذكره .

والموضع المذكور من البقيع مقبرة السادة البرزنجيين ، وله عقب مبارك كلهم من ذوي العلم والفضل والصلاح ، يتداولون فتوى الشافعية بالمدينة المنورة .

وبرزنج قرية بشهرزور من سواد العراق .

ومن أولاده : السيد عبد الكريم المدفون بِجُدَّة المشهور بالمظلوم ، وسبب ذلك : أنه في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف في دولة الشريف مبارك بن أحمد ابن زيد أمير مكة وقعت فتنة بين أهل المدينة وأغوات الحرم ، ووقع فيها قتال يوماً وبعض يوم ، وانتشر فساد وشر كثير ، ثم عرض ذلك إلى الدولة العلية ، وذكروا أن السيد المذكور وولده السيد حسن وبعض أعيان أهل المدينة حرضـوا الناس في تلك الفتنة ، فصدر الأمر من الدولة العلية بقتل بعض

أشخاص ونفي آخرين وكان السيد عبد الكريم المذكور من جملة المأمور بقتلهم وكذاك ولده السيد حسن ، أما ولده فكان رحمه الله صاحب كرامات ، وكان يُدَرِّس بعد صلاة الصبح في المسجد النبوي ، فلما أرادوا القبض عليه وذهبوا إليه ليقبضوا عليه في المسجد وهو يدرِّس فلما قربوا منه طمس الله على أعينهم ، فكانوا يسمعون صوته وهو يدرس ولا يرون شخصه ، فرجعوا وأخبروا آمرهم بذلك ، فلم ينزجر فأرسل إليه غيرهم فجاؤوا وقد تمم السيد درسه وذهب إلى داره بباب السلام فذهبوا إليه وأحاطوا بداره وجلس ناس منهم عند باب داره وأدخل الله الرعب والخوف في قلوبهم فلم يتجاسروا على الدخول عليه .

فلما علم السيد أن فكاكه منهم لا يمكن إلا بالخروج من المدينة إلى مصر تطهر وتوضأ وصلى ركعتين وأخذ قبضة من التراب فخرج عليهم وهو يتلو (شاهت الوجوه شاهت الوجوه)[١٤٣] ﴿ **وعنت الوجوه للحي القوم وقد خاب من حمل ظلماً** ﴾ ونثر على رؤوسهم التراب وهم لا يعلمون وخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرون ولم يعلموا له خبراً ، حتى وصل إلى مصر وأتاهم خبره فأقام بمصر ودخل الجامع الأزهر واجتمع بالأكابر من العلماء وألف كتابه : « نفثة المصدور » وهو كتاب لم يؤلف نظيره في الفصاحة ، والبلاغة ، والقصائد النعتية النبوية ، والكلمات الحكمية .

---

(١٤٣) شاهت الوجوه كلمة استعملها سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم عندما قبض قبضة من تراب وقذفها في وجوه المشركين في غزوة حنين فهزمهم الله تعالى وهو في صحيح مسلم (١٧٧٧) .

سلك فيها طريق القوم من السادة الصوفية ، مشيراً إلى ما حصل له من الكدر ، وما ذاقه من الألم والفراق والبعد عن الحضرة النبوية ، وأشار فيه إلى هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار إليه بالخروج إلى مصر ، وأن يخرج عليهم وينثر على رؤوسهم التراب ، وأنهم لا يبصرونه نظير ما وقع له صلى الله عليه وآله وسلم عند الهجرة إلى المدينة .

ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة .

وأما والده رحمه الله فصعب قبضه بالمدينة فحَسَّنَ له بعض أعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها فلما وصل إلى مكة قبضه الوزير أبو بكر باشا وأنفذه إلى جدة وحبس بقلعتها ، ثم صدر الأمر بقتله فقتل خنقاً في ليلة الثامن من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ، ورمي في سوق جدة يوماً كاملاً ، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس ، وغسل وكفن ودفن بجدة ، وهرعت الناس إلى جنازته للتبرك بها ، ولقب بالمظلوم رحمه الله رحمة واسعة .

ذكر في « الروض الأعطر » ما نصه : ثم عقب ذلك بيسير جاء الأمر بعزل الوزير المذكور فخرج متوجها إلى الأستانة ، وركب مع من معه في سفينة من جدة فبعد ما حلوا شراعها وجرت بهم غير بعيد أتت ريح عاصفة فأغرقه الله ولم ينج منهم إلا قليل .

قال : هكذا أخبرني بـه بعض أهل العلـم من أهـل جدة سماعاً عن غيره من الثقـات ، انتهى .

وخلـف ابنه السيد حسن السيد جعفـر صاحب المولد الشهير الذي مفتتحه : (أبتديء الاملاء باسم الذات العلية . . . .) ، وابنه العلامة السيد علي صاحب المنظومة الرائية الموسومة (بجالية الكدر في أسماء أصحاب سيد الملائك والبشر) ، نظم فيها أسماء أهل بدر وأُحُد التي أولها :

بـدرية وافت ببرهـان بهـر   أحـدية في سردها سر ظهـر

وابنه العلامة السيد محمد البرزنجي فكلهم أبناء السيد حسن .

وكان السيد جعفر المذكور إماماً عالماً عاملاً ، ولد سنة ست وعشرين ومائة وألف بالمدينة المنورة فنشأ بها وقرأ القرآن وأخذ العلم من مشايخ كثيرين يطول تعدادهم ، وبرع في جميع العلوم نقليها وعقليها ، وتولى منصب فتوى الشافعية بالمدينة المنورة ، وسلك في طريق القوم ، وكان على غاية من العمل والاستقامة ، وله كرامات كثيرة ، منها :

أنه دعي بغتة من مصلاه يوم الجمعة إلى مباشرة خطبة الجمعة ، وطلب منه أن يستسقي للناس في خطبته ، وكانت سنة مُجْدِبة ، فاستسقى فأمطرت السماء مطراً عظيماً كأفواه القِرَب ، حتى سالت الأودية ، وأخصبت الأرض بعد جدبها ، واستمر المطر أسبوعاً ، كما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

و امتدحه بعض الفضلاء بقوله :

سقى الفاروق بالعباس قدما ونحن بجعفر غيثاً سقينا
فذاك وسيلة لهم وهذا وسيلتنا إمام العارفينا

ومن كراماته أنه أخبر بيوم وفاته ، فكان كما قال . توفي رضي الله عنه لأربع مضت من شعبان سنة ألف ومائة وسبع وسبعين بتقديم السين فيها ، وعمره إحدى وخمسون سنة ، ودفن بالبقيع عند أرجل بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ورثاه الشيخ عبد القادر كدك بأبيات ، وقبل أن يختمها ويجعل لها تاريخاً رأى ، أي السيد جعفر المذكور بعد وفاته بثلاث عشرة ليلة فقال له فيماذا تدور فقال :

في جنة الفردوس يعلو منزلي

٥٤٣ ٣٨١ ١١٦ ١٣٧

سنة ١١٧٧

فانتبه الرائي فإذا هو شطر بيت ، فحسبه فإذا هو تاريخ بحساب التاء من جنة بأربعمائة ، وفي ذلك خلاف بين الأدباء في أنها تحسب بأربعة أو أربعمائة ، واذا هو شطر على وزن القصيدة وقافيتها ، فجعله تاريخاً لها وختم القصيدة به ، فكان من كراماته أنه أرخ تاريخ وفاته بعد وفاته .

ومات السيد جعفر رحمه الله ولم يخلف غير بنت تزوجت بولد عمها زين بن محمد فولدت له السيد محمد الهادي ، وأعقب السيد محمد المذكور ابنه السيد العلامة زين العابدين صاحب المولد النظم والمعراج المشهورين اللذين

أولهما : (بدأت باسم الذات عالية الشأن وافتتح تحبير أبراد إيراد الأخبار المحمدية) .

توفي مع جماعة من أهل المدينة بالسويس سنة ألف ومائتين وأربع عشرة مرجعهم من الأستانة العلية ، ودفنوا في موضع واحد .

وأعقب السيد زين العابدين ولده مولانا السيد إسماعيل ، وكان عالماً فاضلاً ، وكانت المدينة المنورة داره ووطنه كأبيه وجده ، ثم خرج منها مع جماعة من أهلها سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين عند تغلب الوهابي على الحجاز فساقته المقادير إلى بلاد الكرد من سواد العراق ، فاجتمع بواليها عبد الرحمن باشا ، وكان من أهل العلم والفضل ، وله محبة في العلماء ، فأحب مولانا السيد إسماعيل وأكرمه وأمسكه مقيماً عنده وزوجه ابنته عائشة ، وهي والدة ولده مولانا السيد جعفر وأخيه السيد أحمد وإخوته .

فاستمر مولانا السيد إسماعيل مقيماً بتلك الأرض خمساً وأربعين سنة معظماً محتشماً ، وفي مدة غيبته كانت فتوى الشافعية بالمدينة المنورة عند بعض أبناء عمه ، وولد له أولاد ببلاد الكرد وهم : مولانا السيد جعفر وإخوته وأخواته .

وفي سنة تسع وستين ومائتين وألف ، عزم مولانا السيد إسماعيل على التوجه إلى وطنه فتوجه في شهر رجب من السنة المذكورة ووصل إلى مصر من طريق الشام وترك في مصر ولده مولانا السيد جعفر لقراءة العلم بالجامع الأزهر ، فأخذ عن كثير من علمائها المشهورين ، وتوجه والده إلى دار السلطنة العلية ، وامتدح مولانا السلطان عبد المجيد بقصيدة سنية ، فقلده منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتحية ، ثم رجع مولانا السيد إسماعيل إلى مصر وارتحل بأهله إلى المدينة المنورة ، ودخلها في أوائل رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف ، وجاء تاريخ عوده بيت شعر للفضل الشيخ عبد الجليل أفندي براده من قصيدة غراء مدح بها مولانا السيد إسماعيل المذكور مطلعها :

الدهر أقبل بالمسرة يسعد ولنا بإنجاح المطالب ينجد

و قبل بيت التاريخ بيت ممهد لبيت التاريخ ونظمهما هكذا :

ولطيبة مذ عدت قلت مؤرخاً في بيت شعر بالمحاسن يفرد

قد عاد جاراً للرسول محمد نجل نما والعَوْدُ منه أحمد

سنة ١٢٧٧

ثم بعد مدة نزل من منصب فتوى الشافيعة لنجله الفاضل مولانا السيد جعفر فتقلدها سنة ألف ومائتين وثمان وسبعين قبل وفاة والده بنحو ثمانية أشهر ، وجاءه التأييد من دار السلطنة العلية وهو مستمر بها إلى هذا الوقت .

وأمين الفتوى له أخوه العالم الفاضل مولانا السيد أحمد ابن مولانا السيد إسماعيل، وله أخ ثالث وهو السيد عبد الكريم، وكان لهم أخ رابع وهو السيد علي توفي منذ سنين، وتردد مولانا السيد جعفر إلى دار السلطنة العلية مراراً وقلد قضاء صنعاء خمس سنين آخرها شوال سنة اثنتين وثلثمائة وألف، ثم جاء إلى مكة بأهله ثم أطلعهم إلى الطائف، وهو الآن مقيم بأهله، وقصده العود إلى المدينة بعد أداء المناسك بأهله وولده السيد إسماعيل والسيد محمد هاشم.

وله مؤلفات جليلة منها: شرحه المسمى بـ «الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر» تأليف جده من جهة الأم مولانا السيد جعفر.

ومنها: «شواهد الغفران على جالي الأحزان في فضائل رمضان» لجده السيد محمد ابن رسول، السابق ذكره.

ومنها «مصابيح الغرر على جالي الكدر» للسيد علي ابن السيد حسن السابق ذكره.

ومنها: «تاج الابتهاج على ضوء الوهاج في الإسراء والمعراج» لجده زين العابدين، المتقدم ذكره.

ومنها: تاريخ عمارة المسجد النبوي التي أنشأها مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان، وهو تاريخ جليل سماه «نزهة الناظرين في عمارة مسجد محمد سيد الأولين والآخرين».

ومنها: «الروض الأعطر في مناقب السيد جعفر». وغير ذلك.

وبالجملة ، فأهل هذا البيت كلهم أهل علم وفضل وصلاح ، نفعنا الله بهم ، ووفقهم لكل خير وفلاح ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، ولله در القائل :

قفا بمطلع سعد عز ناديه ... وأمليا شرح شوقي في مغانيه

واستقبلا مطلع الأنوار في أفق الحـ ... ـجون و احترسا أن تبهرا فيه

مغنى به وابل الرضوان منهمر ... ونائرات الهدى دلت مناديه

قفا فذا بلبل الأفراح من طرب ... يروي بديع المعاني في أماليه

واستمليا لأحاديث العجائب عن ... بحر هناك بديع في معانيه

حامي الذمار مجير الجار من كرمت ... منه السجايا فلم يفخر مباريه

عم النبي الذي لم يثنه حسد ... عن نصره فتغالى في مراضيه

هو الذي لم يزل حصناً لحضرته ... موفقاً لرسول الله يحميه

وكل خير ترجاه النبي له ... هو الذي قط ما خابت أمانيه

فيا من أم العلا في الخالدات غدا ... أغث للهفانه واسعف مناديه

قد خصك الله بالمختار تكلؤه ... وتستعز به فخراً وتطريه

عنيت بالحب في طه ففزت به ... ومن ينل حب طه فهو يكفيه

كم شمت آيات صدق يستضاء بها ... وتملأ القلب إيماناً و ترويه

من الذي فاز في الماضين أجمعهم ... بمثل ما فزت من طه و باريه

كفلت خير الورى في يتمه شغفاً ... و بتَّ للروح والأبناء تفديه

عضدته حين عادته عشيرته ... وكنت حائطه من بغي شانيه

نصـرت مـن لم يشم الكون رائحة الـ ـوجود لـو لم يقـدر كـونه فيـه

إن الـذي قمـت في تأييـد شوكتـه هـو الـذي لم يكـن شـيء يساويـه

إن الـذي أنـت قد أحببت طلعتـه حبيـب مـن كل شـيء في أياديـه

لله درك مـن قنـاص فـرصتـه مـذ شمـت بـرق الأمـاني من نواحيـه

يهنيـك فـوزك أن قـدمت منـك يد إلى مليٍّ وفيٍّ في جـوازيـه

من يُسْدِ أحسن معـروف لأحسن من جـازي ينـل فـوق ما نالت أمانيه

ومـن سعـى لسعيـد فـي مطـالبـه فهـو الحـري بأن تحظـى أمانيـه

فيـا سعيـد المساعـي فـي متـاجـره قد جئـت ربعـك أستهمـي غـواديه

مستمطـراً منك مـزن الخيـر معتـرفاً بـأن غـرس المنـى يَنْـعٌ بصافيـه

ومنـك مستعطفـاً خيـر الأنـام ومن تكـن وسيلتـه فالفـوز يأتيـه

فيـا نبـي الهـدى عطفـاً علـى دنف الشـوق يدنيـه والأوزار تقصيـه

ألغـوث ألغـوث يا طه فخـذ بيـدي مـن ورطـة النفس و الشيطان والتيه

فقـد أحاطـت بضعـفي وهي أسرتهـا إن الأسيـر لهـا صعـب تنجيـه

حتـى انقضـى العمر والهفا عليه ولم أحصـل علـى طـائل منـه أرجيـه

فليتنـي حيـث لم أغنـم فريضتـه ما كنـت أودعتـه ذنبـاً يغشيـه

بـل قـد تجـاوزت في ظلمي فوا أسفـا إذ لـم أزل منـه في كرب أقاسيـه

وقـد تعلقـت في أذيال سـاحتكـم فمـا لهـا بـدٌّ عـن مثلـي تنجيـه

لم أدخـرك لدنيـا لا ثبـات لهـا بل للـذي ليـس لي مـن مفزع فيه

إن امـرءاً أنـت في حشـر ذخيـرته لغيـر طامعـة فيـه عـواديـه

ها قـد ذخـرتك للعقبـى تقـوم بها وتمنـح العبـد إحسـاناً وتـوليـه

ووالـديه وأشيـاخاً وإخـوتـه و نسلـه ومـن الإيمان يحـويـه

(وقيل أيضاً) :

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما ... أبدى أبو طالب في حق من عظما
فإن يكن أجمع الأعلام أن له أما ... باراً فلله كل الكون يفعل ما
إذا اختلفوا فالرأي أن نردا ... أما إذا اختلفوا فالرأي أن نردا
نتابع المثبتي الإيمان من زمر ... في معظم الدين تابعناهم فكما
وهم عدول خيار في مقاصدهم ... فلا نقل إنهم لن يبلغوا عظما
لا تزدريهم أتدري من همو فهمو ... همو عرى الدين قد ضحوا به زعما
هم السيوطي والسبكي مع نفر ... كعدة النقبا حفاظ أهل حما
وأهل كشف وشعرانيهم وكذا ... القرطبي والسحيمي والجميع كما



هذا السؤال رفع في إمارة سيدنا ومولانا الشريف عبد المطلب رحمه الله تعالى رحمة الأبرار سنة ١٢٩٩ هـ

[ما قولكم أيها العلماء الأعلام ومصابيح الظلام ، قمع الله بكم طغام اللئام ولئام الطغام ، فيمن انتدب ممن يزعم أنه من طلبة العلم لهدم قبر أبي طالب عم النبي عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، زاعماً أنه من المناكر المجمع عليها في بلد الله الحرام ، وكتب عرضاً للحكام يدور به على العلماء وخلافهم من الأنام ، يحرضهم على أن يساعدوه على هدم قبر هذا الكافر ، بهذا اللفظ الشنيع ونحوه من الكلام ، غير مبال إلى ما يترتب على ذلك من بعث فتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها ، فإن كثيراً من أهل السنة والجماعة من بني هاشم وغيرهم يعتقدون نجاته تبعاً لما جاء في ذلك ، ولما نقله الجهابذة الفخام الحقيقيون بأن يتخذوا حجة للخلق لدى الملك العلام ، وهم الإمام السبكي ، والإمام القرطبي ، والإمام الشعراني ، رحمهم الله تعالى على الدوام ، أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى ومات مسلماً .

قال الإمام المحقق السحيمي بعد نقله ذلك : وهذا هو الذي أعتقده وألقى الله به ، فيكون هذا العذاب حصل له قبل إحيائه ويكون المراد بالقيامة قيامته وهي خروج روحه من جسده ، فيا هل تُرى هؤلاء العلماء جهلوا ما ورد في حق أبي طالب من نصوص الشريعة فلم يسع هذا المنتدب المبغض السكوت تقليداً لقدحه في ادّعائه الإجماع الذي زعمه مع ما فيه من أذية

رسول الله صلى الله عليه وآله ومحبيه ؟ وهل جهله بذلك يكون عذراً له فيما يطلبه مما ليس يعنيه ؟

وهل يجب على الحُكَّام أيدهم الله تعالى زجر هذا المبغض بما يليق به ويكون زاجراً له ولغيره عن الحركات الباعثة للفتن وتنافر قلوب المسلمين ؟

فإن القائلين بنجاته أهل شوكة وشكيمة في هذا البلد الأمين ، أفيدونا نصر الله بكم الإسلام ، وأنار بمصابيحكم حالك الظلام] .

الجواب : [الحمد لله رب العالمين رب زدني علماً ، قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أي على تبليغ الرسالة ، أي : أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي ، وذلك أنه لم يكن حي من قريش إلا فيهم له صلى الله عليه وآله وسلم قرابة ، فكأنه يقول : إن لم تؤمنوا بي فاحفظوا قرابتي فيكم ولا تؤذوني اهـ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعَدَّ لهم عذاباً مهيناً** ﴾ .

وفي شرح الشهاب لابن وحشي ، قال أبو الطاهر : من أبغض أبا طالب فهو كافر بالله عز وجل .

وفي معروضات المفتي أبي السعود :

سؤال : طالب علم ذكر عنده حديث نبوي فقال : أكل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدق .

فأجاب : بأنه يكفر أولاً بسبب الاستفهام الإنكاري ، وثانياً بالحاقه الشين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

« در مختار » إذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر أنها كفر ، قال بعضهم : لا يكون كفراً ويعذر بالجهل ، وقال بعضهم : يصير كافراً بذلك ، تنقيح .

وقال في « المختار » : ينبغي أن يحفظ اللسان عما يجب الاحتراز عنه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[١٤٤] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : « البلاء موكل بالمنطق »[١٤٥] اهـ .

وعليه فيلزم الولاة أيدهم الله تعالى إجراء ما يستحقه على ما صدر منه مما يسد باب الجراءة ويزجر أهل الجراءة والفساد ، كما قال تعالى : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ... ﴾ إلى آخر الآية ، والله سبحانه وتعالى أعلم] .

أمر بكتابته أحمد بن عبد الله ميرغني ، مفتي الأحناف بمكة المشرفة ، كان الله لهما حامداً مصليا مسلماً .

[الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السالكين نهجهم بعده ، اللهم أسألك هداية للصواب .

---

(١٤٤) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة .

(١٤٥) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٣/ ٢٧٩) وهو ضعيف جداً .

اعلم رحمك الله تعالى أن أبا طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ادَّعى أناس أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على عدم نجاته وتمسكوا في ذلك بظواهر من الكتاب والسنة ، ودعواهم اتفاق أهل السنة على عدم نجاته دعوى غير صحيحة ، فقد وجد كثير من أهل السنة يقولون بنجاته ، منهم : الإمام القرطبي ، والإمام السبكي ، والإمام الشعراني ، كما ذكره السائل في سؤاله ، فقد راجعت ما ذكره في شرح العلامة السحيمي على شرح الشيخ عبد السلام اللقاني على منظومة والده المسماة « بجوهرة التوحيد » ، في بحث الشفاعة عند قول الناظم :

(وواجب شفاعة المُشَفَّعِ) ، فوجدته نقل عن القرطبي ، والسبكي ، والشعراني ، أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم مات مسلماً .

قال العلامة السحيمي : وهذا الذي أعتقده وألقى الله عليه ، وذكر العلامة السحيمي قُبيل قول الناظم : (ومُنْجِزٌ لمن أراد وَعْدَهُ) أن ابن سعد وابن عساكر رويا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ترجو لأبي طالب قال : « كل الخير أرجو من ربي » ، والإمام القرطبي ، والسبكي ، والشعراني كل منهم من أكابر أهل السنة يحتج بقوله ، وكذا العلامة السحيمي ، فبطلت دعوى من ادَّعى أن أهل السنة متفقون على عدم نجاته ، وثبت أنه يوجد من أهل السنة من يقول بنجاته ، وحيث وجد الاختلاف فاللائق الاحتياط ، وأقل المراتب التفويض إلى الله

تعالى والسكوت والتوقف وعدم الخوض في ذلك ، والاقتصار على قدر الضرورة في ذكر الأحاديث الواردة فيه مع غاية الأدب والخوف ، لأن الاحتياط من الورع ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أليس ، وقد قيل : لما جاءه عقبة بن الحارث فقال : يا رسول الله تزوجت امرأة فجائتنا امرأة سوداء فقالت قد أرضعتكما وهي كاذبة فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « كيف تصنع بها وقد زعمت أنها أرضعتكما ، دعها عنك » ، أي : طلقها فراجعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقلت : يا رسول الله إنها امرأة سوداء ، أي : فلا يقبل قولها ، فقال : « أليس وقد قيل ؟! » فأرشده صلى الله عليه وآله وسلم إلى طريق الورع والاحتياط ، وإن لم تقبل شهادة تلك المرأة .

وحيث قال جماعة من أهل السنة بإحياء أبي طالب وإيمانه ونجاته فالاحتياط عدم التعرض له بتنقيص ، لأن التعرض له لا سيما إذا كان بأفحش العبارات يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن أبا طالب ربَّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحبه ويذب عنه لما بُعِثَ ، ويؤذي أيضاً أقاربه صلى الله عليه وآله وسلم الأحياء والأموات . وقد قال تعالى : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ .

وقد أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اشتد غضب الله على من آذاني في قرابتي » .

وروى الطبراني والبيهقي أن بنت أبي لهب واسمها سبيعة وقيل درة ، قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغني عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار ، فتأذَّتْ من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد غضبه ، ثم قام على المنبر فقال :

« ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ؟ مَنْ آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى »(١٤٦) .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من آذى شعرة مني فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى » .

وروى الطبراني ، والإمام أحمد ، والترمذي ، عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا تؤذوا الأحياء بِسَبِّ الأموات »(١٤٧) .

---

(١٤٦) حسن . رواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٢٦٢) ، وذكر الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٧/ ٦٣٥) أن الحديث رواه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده وفيه رجل ضعيف ، ونص ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٧٥) عن أبيه أن الحديث غير صحيح عنده .

وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٧) : « رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات » ، وللقصة طريق أخرى رواها الطبراني وقال الهيثمي هناك أيضاً : « رواه الطبراني .... وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح » .

(١٤٧) رواه الفاكهي في « أخبار مكة » (٣/ ١٥٨) ، ويشهد له ما في البخاري (٦٥١٦) من حديث السيدة عائشة مرفوعاً : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » ، وفي الترمذي (١٩٨٢) من حديث المغيرة مرفوعاً : « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » .

ولا شك أن النطق بقبيح القول في حق أبي طالب والتشدق به في مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذي أولاد علي كرم الله وجهه الموجودين الآن ، بل ويؤذي أمواتهم في قبورهم ، ويؤذي النبي صلى الله عليه وآله و سلم ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً** ﴾ .

وهذا هو ملحظ من قال بكفر مبغض أبي طالب ، لأن فيه إيذاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإيذاؤه صلى الله عليه وآله وسلم كفر يقتل فاعله إن لم يتب ، وعند المالكية : يقتل وإن تاب ، وسأذكر لك نبذة من أخبار أبي طالب تعلم بها محبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعلم محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ، وأنه يؤذيه بغضه ، وتعلم بها أن ما ذهب إليه القرطبي ، والسبكي ، والشعراني ، والسحيمي له وجه وجيه .

فمن أخبار أبي طالب أنه ربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن التربية ، وكان يُقَدِّمُهُ في البر على أولاده ، وشَرْحُ ذلك يطول ، ثم لما بعثه الله تعالى تعرض قريش لإيذائه صلى الله عليه وآله وسلم فمنعهم أبو طالب ، وقال لهم : إن ابن أخي في حمايتي ، فلم يستطيعوا أن يردوا حمايته ، فصار صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس جهراً ، فلما فشت دعوته صلى الله عليه وآله وسلم شق الأمر عليهم ، فاجتمعوا وجاءوا إلى أبي طالب بعمارة بن الوليد وقالوا له : خذ هذا بدل محمد ويكون

كالابن لك وأعطنا محمداً لنقتله ، فقال : ما أنصفتموني يا معشر قريش ، آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ، ثم قال :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد دعوت وكنت ثَمَّ أمينا

ولما تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها خطب أبو طالب وحضر أبو بكر ورؤساء مضر ، فقال أبو طالب في خطبته :

(الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزَرْعِ إسماعيل ، وضئضيء مَعْد ، وعنصر مُضَر ، وجعلنا حضنة بيته وسُوَّاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحُكَّام على الناس ، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لايوزن بِرَجُلٍ إلا رجح به شرفاً ونُبْلاً وفضلاً وعقلاً ، فإن كان في المال قِلٌّ ، فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد مَنْ قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم) .

فلما أَتَمَّ أبو طالب الخطبة تكلم وَرَقَةُ بن نوفل وهو ابن عم خديجة ، فقال :

(الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضَّلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل لذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم

فاشهدوا عليَّ معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا وكذا) .

ثم سكت فقال أبو طالب :

قد أحببت أن يشركك عمها : وهو عمرو بن أسد ، فقال عمها :

(اشهدوا يا معشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد) ، فَقَبِلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم النكاح .

فتأمل خطبة أبي طالب وذكره شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتَفَرُّسَه فيه كل خير ، وكان ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس عشرة سنة .

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتاً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا ، فما رد يديه حتى التقت السماء بأرواقها ، ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : « لله در أبي طالب لو كان حياً لقرّت عيناه ، مَن ينشدنا قوله ؟ » فقال علي كرم الله وجهه : كأنك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أجل »[١٤٨] .

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبي طالب ، قالها حين كان يذب قريشاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، منها قوله :

كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ... ولما نطا عن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته دأب المحب المواصل

فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عاقل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل

ومنها قوله :

وقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

وأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول

حديت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

والقصيدة طويلة ، وله أشعار كثيرة غيرها في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١٤٨) هذا صحيح ثابت فقد روى البيت (وأبيض يستسقى الغمام) البخاري (١٠٠٩) ولفظ (اللهم حوالينا ولا علينا) البخاري ومسلم كما سيأتي ، وهذا السياق رواه الأصبهاني في « دلائل النبوة » (١/ ١٨٤) وذكره الحافظ في « الفتح » (٢/ ٢٩٥) وعزاه للبيهقي في « دلائل النبوة » وقال هناك : « وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة ، وقد ذكره ابن هشام في زوائده في السيرة تعليقاً عمن يثق به » .

ولما حضرت الوفاة أبا طالب جمع أشراف قريش وأوصاهم بوصية تدل على كمال محبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفته صدقه ، فقال :

(يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية ، يعني : الكعبة ، فإن فيها مرضاة للرب ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، وصلوا أرحامكم ، فإن في صلة الرحم منسأة ، أي : فسحة في الأجل ، وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعي وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والمهات ، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة ، فإن فيها محبة في الخاص ، مكرمة في العام ، وأوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصدّيق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء بأمرٍ قبله الجَنَان وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً ، وإذ أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة) .

وفي رواية : (دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سَعِد ، ولو كان لنفسي مدة ولأَجَلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ، ولدفعت عنه الدواهي) .

وقال لهم مَرَّة : (لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ، وما اتَّبعتم أمره ، فأطيعوه ترشدوا) .

فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفِرَاسة الصادقة .

وقد روى أبو طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث ، منها : ما ذكره الحلبي في سيرته فقال : وروى أبو طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : حدثني محمد : (أن الله أمره بصلة الأرحام ، وأن يعبد الله وحده ، ولا يعبد معه غيره) .

وقال : سمعت ابن أخي يقول : (اشكر ترزق واكفر تعذب) .

ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتى أن بعض قريش نثر التراب على رأسه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب »[١٤٩] .

ولما رأى قريشاً تهجموا على أذيته قال : يا عم ما أسرع ما وجدت بعدك ، ومات هو وخديجة في عام واحد ، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يسمي ذلك

(١٤٩) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٤) وبحوه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٤) .

العام عام الحزن .... وإنما أطلت الكلام في ذلك لتعلم محبة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم له ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ، وتعلم أيضاً أن ما قاله الأئمة الأعلام ، وهم : الإمام القرطبي ، والسبكي ، والشعراني ، والسحيمي ، من أن الله أحياه وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم له وجه وجيه .

ولذلك قال السحيمي : وهو الذي أعتقده وألقى الله به ، وأقول أيضاً كما قاله أنه هو الذي أعتقده وألقى الله به ، وهكذا ينبغي لمن له محبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرابته ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .

فيجب على ولاة الأمر ثبّت الله بهم قواعد الدين إجراء التأديب اللازم بما يحصل به الزجر سداً للذريعة وحسماً للخوض في مثل ذلك ، لما يترتب عليه من الفتن العظيمة ، والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم] .

أمر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان ، مفتي الشافعية بمكة المحمية ، غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين أجمعين آمين .

أقول[١٥٠] : وجدنا في آخر الطبعة المصرية المطبوعة سنة ١٣٠٥هـ ما نصه :

[كان ذلك الطبع بالمطبعة ذات التحرير المجاورة للإمام القطب الدردير ، إدارة رب المهارة والوفا ، حضرة محمد أفندي مصطفى بمصر ، وتمَّ طبعه في

---

(١٥٠) محققه حسن بن علي السقاف عفا الله عنه وغفر ذنوبه .

أواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٠٥ هجرية من هجرة المصطفّى عليه وآله الصلاة والسلام] .

الحمد لله والشكر لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على مولانا وسيدنا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين أبا الزهراء محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وجاء أيضاً بعد ذلك في تلك الطبعة ما نصه :

نختتم طبعتنا المباركة بترجمة مؤلفنا الجليل نقلناها حرفياً من كتاب « هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » تأليف : إسماعيل باشا البغدادي ، طبع بعناية وكالة المعارف ، استانبول سنة ١٩٥١ م جلد-١- ص١٩١ .

[(دحلان المكي) : السيد أحمد بن السيد زيني دحلان المفتي ، ورئيس العلماء ، وشيخ الخطباء ، الشافعي ، المكي ، توفي في المدينة المنورة في محرم من سنة ١٣٠٤ أربع وثلاثمائة وألف هجرية ، من تصانيفه :

١ - « أسنى المطالب في نجاة أبي طالب » .

٢ - « تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية » . مطبوع .

٣ - « تنبيه الغافلين » .

٤ - « مختصر منهاج العابدين » .

٥ - « حاشية على متن السمرقندية في الآداب » .

٦- « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه السلام إلى وقتنا هذا بالتمام » .

٧- « الدرر السنية في الرد على الوهابية » .

٨- « رسالة الاستعارات » .

٩- « رسالة إعراب جاء زيد » .

١٠- « رسالة البينات » .

١١- « رسالة في بيان العلم من أي المقولات » .

١٢- « رسالة في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم » .

١٣- « السيرة النبوية والآثار المحمدية » في مجلدين .

١٤- « شرح الآجرومية فتح الجواد المنان » .

١٥- شرح العقيدة المسماة « بفيض الرحمن » .

١٦- « الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين » في مجلد .

١٧- « الفوائد الزينية في شرح الألفية للسيوطي » .

١٨- « منهل العطشان على فتح الرحمن » في علم القراءات .

١٩- « النصر في أحكام صلاة العصر »] .

كما ترجم له خير الدين الزركلي في كتاب « الأعلام » جلد-١- ص١٣٥ بما يلي :

[السيد أحمد بن السيد زيني دحلان ، فقيه مكة ، مؤرخ ، ولد بمكة سنة ١٢٣٣ هجرية ، وتولى فيها الإفتاء والتدريس ، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة ، فطبع فيها بعض كتبه ، ومات في المدينة المنورة سنة ١٣٠٤ هجرية ، من تصانيفه :

١ - « الفتوحات الإسلامية » مجلدان .

٢ - « والجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية » .

٣ - « وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلاد الحرام » .

٤ - « والفتح المبين في فضل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين » .

٥ - ورسالة « الرد على الوهابية »] .

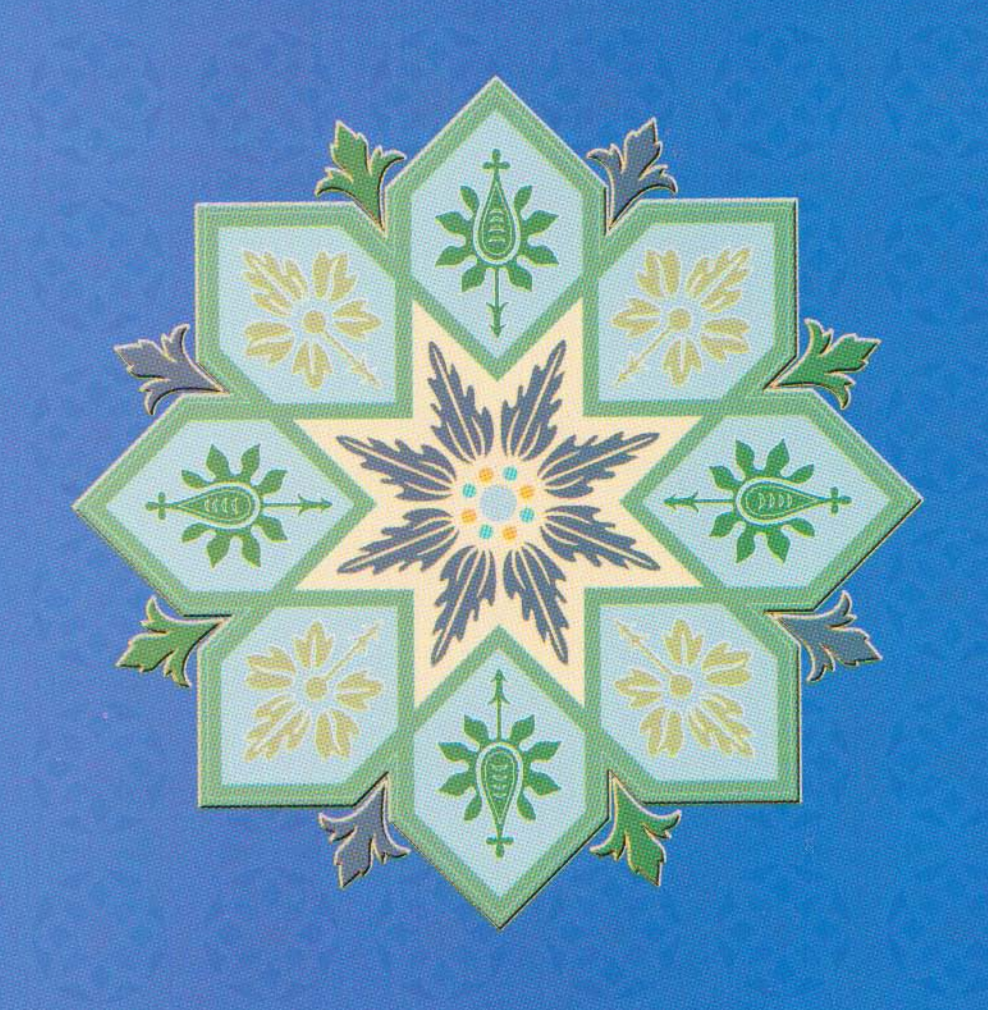
ولا ندري لماذا لم يذكر كتاب « أسنى المطالب في نجاة أبي طالب » ، كما ذكره في « هدية العارفين » في مقدمة مؤلفات السيد .

أيضاً ترجم له عمر رضا كحالة في كتاب « معجم المؤلفين » جلد- ١- ص ٢٢٩طبع المكتبة العربية دمشق وغيرهم . نكتفي بهذا القدر من ترجمة رئيس العلماء وشيخ الخطباء السيد العظيم حفيد السادة العظماء أحمد بن السيد زيني دحلان رحمة الله تعالى عليهما .

وختاماً من يدعو الله لنا بالتوفيق في الدنيا والآخرة . نسأل الله تعالى التوفيق في الدنيا والآخرة .

والناشر لتلك الطبعة المصرية هو : السيد يوسف بن السيد محمد المؤيد الحسني اليماني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين .

فهرس الكتاب



عمّــان ـ الأردن

ص.ب.: ٩٢٥٣٩٣ ـ العبدلي

E-mail: hasan_alsaqqaf@maktoob.com